جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

# علم الثقافة الإسلامية
# المصطلح والنشأة والأسس المنهجية

إعداد الدكتور

**السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم**

الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر والمشارك في جامعة القصيم
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثامن والثلاثون، لعام 1440هـ/2019م والمودعة بدار الكتب تحت رقم 2019/6157
والترقيم الدولي I.S.S.N 2636-2481

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-شبين الكوم ت 0482222090

# ملخص البحث

# علـم الثقافـة الإسلامية - المصطلح والنشأة والأسس المنهجية

يتناول البحث إشكالية "تعريف الثقافة"، ويرصد الأسباب التي أدت إلى كثرة تعريفات الثقافة وتنوعها، ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة التأصيلية معالجة الآتي:

**أولًا:** تعريف "الثقافة" بوجهٍ عام في اللغة العربية واللغات الأوروبية، والوقوف على ماهيتها في الفكر الغربي والفكر الإسلامي، وإدراك العلاقة بين "الثقافة"، والألفاظ ذات الصلة، كالعلم، والحضارة، والمدنية.

**ثانيًا:** تعريف "الثقافة الإسلامية"، ومعرفة متى صارت علمًا من خلال تتبُّع مراحل نشأتها.

**ثالثًا:** التعرف على الأسس المنهجية والموضوعات التي تميز "علم الثقافة الإسلامية" عن سائر العلوم الشرعية.

**وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج من أهمها:** أن كلمة «الثقافة» عربية قديمة، لكنها لم تستخدم كمصطلح في دلالته الحالية إلا في العصر الحديث، وأنها تتقارب في دلالاتها اللغوية وفي معناها العام بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وإن اختلفت أساليب التعبير وتفاوتت صيغ التعاريف وألفاظها، بينما تفترق وتتباعد بين الفكر الإسلامي ومثيله الغربي بمعناها النوعي، من حيث الدلالات المفاهيمية والمعاني والمضامين التي يحملها المصطلح وهو ما يُعبَّر عنه بـ «الثقافة الإسلامية» و«الثقافة الغربية».

**كما خلص إلى أن «الثقافة الإسلامية» تعني:** رؤية الإسلام العامّة وفلسفته المنبثقة عن عقيدته وشريعته ومنهاجه، ودور المتخصص في الثقافة الإسلامية هو بناء التصور الإسلامي لكافة القضايا المطروحة، وأن «علم الثقافة الإسلامية» وإن تأخر ظهوره، فهذا لا يعني أنه لم يكن له واقع في حياة الأمة الإسلامية، فالثقافة الإسلامية كمضمون قديمة قدم الشريعة الإسلامية ذاتها.

**الكلمات الافتتاحية: الثقافة الإسلامية – المصطلح – النشأة – الأسس المنهجية.**

إعداد الدكتور

**السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم**

**الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر والمشارك في جامعة القصيم**

**قسم الدعوة والثقافة الإسلامية**

# Research Summary
# Islamic Culture "Term, Origin, and Methodological Basis"

The study deals with the challenge of giving "culture" a definition, and monitors the reasons that led to the multiple definitions and diversity of culture, and the researcher aims through this preliminary study to address the following:

**First:** the definition of "culture" in general in Arabic and European languages, to determine what it is in Western thought and Islamic thought, and to understand the relationship between "culture" and related terms, such as science, civilization and civil society.

**Second:** the definition of "Islamic culture", and knowing when it became a science through the stages of its growing ..

**Third:** To identify the methodological bases and topics that distinguishes "Islamic culture" from other Islamic sciences.

The researcher concluded that the word "culture" is an ancient Arabic, but it has not been used as a term in its current significance except in the modern era, and that it converges in its linguistic connotations and in its general meaning between Islamic thought and Western thought. Even The different forms of expression and variations in terms and definitions, while diverging between the Islamic thought and the West in a qualitative sense, in terms of conceptual connotations and meanings and contents of the term, which is expressed as «Islamic culture» and «Western culture».

He also concluded that "Islamic culture" means: the general vision of Islam and its philosophy stemming from its doctrine, jurisprudence and methodology. The role of the specialist in Islamic culture is to build the Islamic perception of all the raised cases. And that the term of "Islamic culture" with the delay of its appearance, does not mean that it had no reality in the life of the Islamic nation. Islamic culture as a content is very old as Islamic sciences itself.

**Key Words: Islamic Culture – Term – Origin – Methodological Basic**

**Elsaid Shabaan Aldesouky Ibrahim**

**Assistant Professor at Al-Azhar University – Faculty of the Foundamentals of Religion and Advocacy in Mansoura Department of Advocacy and Islamic Culture - And Associate Professor at the University of Qassim – Faculty of Sharia and Islamic Studies – Department of Advocacy and Islamic Culture**

drsaidrakha@gmail.com

# مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسلك سبيله، واتبع سنته إلى يوم الدين.. وبعد

فإن لفظ «الثقافة» من الألفاظ التي نالت شهرةً وانتشارًا في السنوات الأخيرة في الأوساط العلمية، بل وفي الأوساط العامة في بعض الأحيان. فلا يكاد يمرّ يوم إلا وتسمع فيه كلمة «ثقافة» وما يتصل بها، حتى أصبحت الكلمة لصيقة بكل ما شاع وانتشر في المجتمع فيقال: ثقافة الانفتاح، وثقافة الاستهلاك،.. وأصبح للثقافة وزارات، ومنابر، وصالونات، ومنظمات عالمية كمنظمة اليونسكو(1)، وأخرى عربية كمنظمة ألكسو(2).

وكثرت المؤلفات في «الثقافة» بشكل عام، و«الثقافة الإسلامية» بشكل خاص، ومع ذلك اختلفت الآراء وتعددت الاتجاهات حول ماهية «الثقافة» ومفهومها.

وإنك لتعجب مِن بعض مَن كتبوا في «الثقافة الإسلامية» مئات الصفحات، عن أهميتها، وخصائصها، وأهدافها، ومصادرها، والتحديات التي تواجهها،... مكتفين بسطور قليلة وكلمات مقتضبة حول مفهوم «الثقافة»، ويبرِّر بعضهم ذلك بأنه يريد أن ينأى بالقارئ أو الدارس عن تفاصيل هو في غنى عنها، ويظل القارئ أو الدارس يقرأ مئات الصفحات في «الثقافة»، وهو لا يعرف ما معنى

---

(1) اليونسكو(UNESCO): هي اختصار United Nations Educational, Scientific and Cultural، وتعني: منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة. (الموقع الرسمي للمنظمة http://www.Unesco.org).

(2) ألكسو(ALECSO): هي اختصار Arab League Educatioal, and Scientific Organization، وتعني: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (الموقع الرسمي للمنظمة www.alecso.org).

الثقافة، وما علاقتها بالألفاظ المقاربة، كالحضارة، والمدنية، والعلم،..وما الذي يميز تخصص «الثقافة الإسلامية» عن غيره من التخصصات الشرعية الأخرى...!

ولأن بعض مَن يكتب في الثقافة هو من غير المتخصصين فيها، فهو يتناول «الثقافة الإسلامية» على أنها دراسة تاريخية عن الإسلام، وبعضهم يفهمها على أنها بعض المقتطفات والمعلومات العامة عن الإسلام، وراح بعضهم يهاجم «الثقافة الإسلامية» لما عجز عن فهمها، أو بعبارة أخرى: لم يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقتها ومنهجيتها، وقديمًا قالوا: «الإنسان عدوّ ما يجهل».

## أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني إلى الكتابة في موضوع (**علم الثقافة الإسلامية: المصطلح، والنشأة، والأسس المنهجية**) عدة أسباب منها:

**1**- أن إدراك مفهوم «الثقافة» ودلالتها الاصطلاحية هو مدخل مهم للتعرف على تخصص «الثقافة الإسلامية»، واستيعاب أهميته، وفهم منهجيته، وضبط معالمه، وتحديد موضوعاته.

**2**- أن لفظ «الثقافة» بدلالاته العصرية هو لفظ مستحدث، وبالتالي فعلم الثقافة الإسلامية علمٌ جديد، وهو غير واضح المفهوم لدى البعض، ومختلط بالمفهوم العام للثقافة وهو: [أخذ شيء من كل شيء]، الأمر الذي دفعني إلى المبادرة بهذه الدراسة؛ بغرض الاقتراب من اللفظ، ومحاولة كشف غموضه وتحديد معالمه.

**3**- إسناد تدريس «علم الثقافة الإسلامية» والتأليف فيه إلى غير المتخصصين في بعض الجامعات العربية والإسلامية، الأمر الذي يحمِّل

المتخصصين مسؤولية مضاعفة الجهد للقيام بواجبهم نحو هذا التخصص، حتى يؤدي دوره جنبًا إلى جنب مع سائر التخصصات الشرعية.

لهذه الأسباب وغيرها، توكلتُ على الله، وشرعتُ في الكتابة حول هذا الموضوع، مدركًا أهميته وصعوبة معالجته في ذات الوقت.

**منهج البحث:**

اعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي في تتبع جذور كلمة «الثقافة» واستقراء ما كتب حولها، ووصف ما حدث لها من تطور في دلالاتها الاصطلاحية المعاصرة، وعلى المنهج التحليلي في محاولة الوقوف على ماهية «الثقافة»، ومن ثم معرفة المراد بالثقافة الإسلامية.

**خطة البحث:**

**وقد احتوت الدراسة على:** مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

- **المقدمة:** وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطته.
- **التمهيد:** ويحتوي على إشكالية التعريف، والأسباب التي أدت إلى كثرة تعريفات الثقافة.
- **الفصل الأول:** يتناول تعريف الثقافة بوجهٍ عام.
- **الفصل الثاني:** يتناول الألفاظ ذات الصلة بالثقافة.
- **الفصل الثالث:** يتناول تعريف علم الثقافة الإسلامية ويبين مراحل نشأته.
- **الفصل الرابع:** يتناول الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية، ومساراته وموضوعاته.
- **الخاتمة:** وتشتمل على أبرز النتائج وأهم التوصيات.

واللهَ أسأل أن يتقبل هذا الجهد، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

**الباحث**

# التمهيد

## إشكالية التعريف

على الرغم من الأهمية البالغة لمفهوم «الثقافة»، فإن هذا المفهوم ليس له حتى الآن تعريف محدد متفق عليه من جانب الباحثين المعنيين به.

يحدث هذا رغم اشتهار اللفظ وقوة انتشاره، فقد كثر الحديث عن «الثقافة» وشاع استعمال الكلمة وأُلِّفت فيها مصنفات، ودُبِّجت فيها مقالات، وعُقدت لها مؤتمرات، وتتابعت الحوارات عن «الثقافة الإسلامية» و«الثقافة الغربية» و«الغزو الثقافي» و«صراع الثقافات»، ...إلخ.

((لقد أنشأت الأمم المتحدة منظمة «اليونسكو» في لندن سنة 1945م؛ لتهتم بالثقافة، ومنذ ذلك الحين عظم الحديث عن الثقافة وازداد انتشارا))[1].

وقد عُقِدت مؤتمرات كثيرة لمناقشة قضية الثقافة ووضع تعريف جامع مانع لها، ((ففي عام 1970م عُقد المؤتمر العالمي الأول للثقافة في مدينة البندقية بإيطاليا، وفي عام 1982م عُقِد المؤتمر العالمي الثاني في دولة المكسيك بدعوةٍ من «اليونسكو» للبحث في السياسات الثقافية، وحضره ممثلون عن (129) دولة، وقد ناقشت إحدى لجان المؤتمر تعريف الثقافة، وأجمع أعضاء اللجنة على أن هذه الكلمة لا تزال غامضة وغير محددة))[2].

---

(1) الثقافة الآمنة: د. محمد موسى الشريف، ص7، دار الأندلس الخضراء، السعودية، بدون تاريخ.

(2) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: د. عمر سليمان الأشقر، ص17 بتصرف، دار النفائس، الأردن، الرابعة، 1414هـ/ 1994م.

ومنذ ذلك الحين تعدَّدت تعريفات «الثقافة» وكثرت، لدرجة أن الباحث في الثقافة **يجد نفسه أمام سيل من التعريفات لعلماء مسلمين وغير مسلمين.**

**يقول د. طاهر لبيب:** ((مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تداولا، ولكنه أيضًا من أكثرها غموضًا؛ فالتعاريف التي اقتُرحت في المائة سنة الأخيرة على الأقل بلغَتْ حدًّا من التنوع يصعب معه الاتفاق على تعريف. وإذا كان كروبير وكلوكهون[1] قد صنَّفَا قبل ربع قرن ما لا يقل عن (160) تعريفًا للثقافة، فإن التفرعات التي تبلورت بعد ذلك تزيد ولاشك في عدد هذه التعاريف المقترحة. الأمر الذي يبين كيف أصبحت هذه الكلمة ضحية النجاح والانتشار الذي حظيت به))[2].

وما من شك في أن هذه الكثرة من التعريفات بقدر ما تشير إلى أهمية الثقافة، فهي – بلا ريب – تزيد المفهوم غموضًا وتعقيدًا، وتسبب الحيرة والارتباك لدى الباحث في الثقافة.

**أسباب كثرة تعريفات «الثقافة» وتنوعها:**

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: **ما الأسباب التي أدَّت إلى كثرة تعريفات «الثقافة» وتنوعها على هذا النحو؟** يعود هذا التعدد والتنوع إلى أسباب كثيرة، منها:

---

(1) كروبير أ. لويس (1876–1960م) وكلايد كلوكهون عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان، هما من أبرز الذين أرسوا أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، وقد تركت كتاباتهما تأثيرًا ضخمًا في النظرية الثقافية وفهم طبيعة الثقافة والعمليات الثقافية. راجع: أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر: د. محمد أبو زيد 87/2، دار غريب، القاهرة، بدون تاريخ.

(2) سوسيولوجيا الثقافة، ص6 بتصرف يسير، دار محمد علي الجامي للنشر، المغرب، الرابعة، 1987م.

**أولا:** اختلاف المداخل الفكرية في العلوم الاجتماعية والإنسانية:

فالصعوبة التي يجدها الباحث عند تعريف كلمة «الثقافة» تشبه – إلى حدٍّ كبير – الصعوبة التي يجدها العلماء عند تعريفهم لكلمات مثل: «التربية» و«الأدب» و«الفن» و«الحضارة»...، وغيرها من المفاهيم التي تتسم بالعمومية وعدم التحديد العلمي الدقيق.

((إنها صعوبة التوفيق إلى حدود منطقية دقيقة لأكثر المصطلحات التي تجري على الألسن دون أن تتضح مدلولاتها في أذهان مستعمليها، أو يكونوا متفقين على ما بها يَعْنُون، ومن ذلك كلمات: الجمال، والشعر، والخيال، والأدب، والمثالية، وغيرها كثير. وذلك أن هناك فرقًا واضحًا بين الأشياء الحسية، التي يتلقاها الإنسان بحواسه الظاهرة ويجري عليها تجاربه المتنوعة ويبرئها من التأثر بمزاجه وعواطفه، وبين الأشياء الروحية والمعنوية التي يصعب إخضاعها للتجارب المحدودة، والنواميس الثابتة لتغيرها واتصالها بالطبائع والانفعالات.

فالأولى يمكن تعريفها بدقة أو قريب من ذلك، كالمثلث والجزيرة، والأجسام الصلبة والسائلة، والثانية تجد معانيها مبهمة غير محدودة حتى في البيئة الواحدة وبين المشتغلين بها.

وقد يحتال بعض الباحثين للخروج من هذا الإبهام، فيضع تعاريف عامة تتناول أكثر المعاني الجزئية، ولكن ذلك يزيد في غموضها؛ إذ لا يعرف القارئ أيّ المعاني يُراد. وربما كان خيرًا من ذلك الذي يذكر للكلمة ما يريد لها من معنى في موضوعه، ثم يشير إلى أن لها معاني أخرى في غير هذا المقام))(1).

(1) أصول النقد الأدبي: د. أحمد الشايب، ص16، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، العاشرة 1994م.

و«الثقافة» فضلًا عن كونها ضمن الأشياء المعنوية، فهي تنتمي إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية، ((وإذا كانت العلوم الطبيعية قد قطعت شوطًا طويلًا – نسبيًا – في مجال ضبط المصطلحات وتحديد معانيها، بحيث نجد أن ثمة شبه اتفاق بين العلماء الطبيعيين فيما يتعلق بالمصطلحات ودلالاتها، فإن الوضع في العلوم الاجتماعية والإنسانية يختلف، ويرجع ذلك إلى الاختلاف الذي يصل أحيانًا إلى حدِّ التناقض بين المداخل الفكرية والأطر النظرية التي يصدر عنها المتخصصون في تلك العلوم في دراساتهم. ذلك أن هذا الاختلاف يفضي – بالضرورة – إلى تباين واسع أو ضيق في التعريفات التي يقدمونها للمصطلحات التي تتعامل معها علومهم))(1).

**ثانيا:** اختلاف معنى «الثقافة» في مدلولها الحديث عن معناها الأصلي:

وهذا شأن المفاهيم الكبرى في حياة الأمم والجماعات، فهي ((ليست ألفاظًا كسائر الألفاظ، وما هي مجرد أسماء أو كلمات يمكن أن تُفهَم وتُفسَّر بمرادفاتها، أو بما يقرب في المعنى إليها، بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات كثيرًا ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي لتعكس كوامن فلسفة الأمة، ودقائق تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استنبطته ذاكرتها المعرفية))(2).

و«الثقافة» واحدة من هذه الكلمات التي اتسع مفهومها في العصر الحديث، فلم تعُد لفظًا عاديًا، وإنما غدَتْ مفهومًا له تأثيره وخطره في الصراع الفكري الدائر

(1) الثقافة والشخصية: د. فتحي أبو العينين، ص33، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2015م.

(2) الحضارة. الثقافة. المدنية «دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم»: نصر محمد عارف، ص7 (تصدير للدكتور/ طه جابر العلواني)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الثانية 1415هـ/1994م.

بيننا وبين الغرب، الأمر الذي جعل تعريفها وتحديدها مشكلة، ((وتتأكد هذه المشكلة حين يضيق التحديد اللفظي عن استيعاب المضمون الضخم الواسع المتشعب الذي تدل عليه كلمة «ثقافة». فهي كلمة ذات أبعاد كبرى، ودلالات كثيرة، وإيحاءات متعددة، وتعنى – في إطارها العام – آفاقًا ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والنظم والعلائق الإنسانية ونحوها..وهي آفاق ومستويات يضيق المدلول اللغوي عن ضبطها أو حصرها – أو بتعبير آخر – عن احتوائها. فلابد إذًا من تجاوز النطاق اللغوي – من حيث أصل الكلمة واستعمالاتها – إلى النطاق الفكري العام، عند محاولة تعريف الثقافة تعريفًا يشمل جوانبها المتعددة وآفاقها المتنوعة))[1].

وبالتالي فالوقوف بكلمة «الثقافة» عند أصولها اللغوية واستعمالاتها الأولى لن يؤدي بنا إلى وضع تعريف جامع مانع لها، بل لابد من تتبع أصل التعريف: ((أي معرفة المدلول الذي كان مرادًا عند بدء إطلاق الاسم على الشيء، ثم البحث بعد ذلك فيما طرأ على هذا المدلول من تطور، ومحاولة معرفة العلاقة أو العلاقات الجديدة في ضوء العلاقة الأصلية الأولى، .. وما من شك في أن معرفة الأصل وما طرأ عليه بعد ذلك من تطور حتى أخذ الشكل المألوف، سوف يوضح لنا جوانب كثيرة من استعمال كلمة «الثقافة» في الاصطلاح الحديث في لغتنا واللغات الأجنبية))[2].

---

(1) لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص22، مؤسسة الرسالة، بيروت، التاسعة 1404هـ/1984م.

(2) لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص27، 28 باختصار.

**ثالثًا**: اختلاف زاوية النظر لدى معرِّفي الثقافة:

فقد جاءت وجهات النظر مختلفة في تعريف الثقافة؛ نظرًا لاختلاف النزعات والاتجاهات، فكلٌّ يعرِّفها حسب مجاله العلمي وتخصصه الفكري، وبالتالي تعدَّدت تعاريف الثقافة وتنوعت باختلاف الزاوية التي يُنظر منها إلى الموضوع، وبحسب منطلقات وخلفيات قائليها.

**يقول د. صالح هندي**: ((يختلف تعريف الثقافة باختلاف مجالات الدراسة أو باختلاف اهتماماتها، سواء كانت تاريخية أو فلسفية أو نفسية أو اجتماعية،..ولعل الاختلاف في تعريف الثقافة يرجع إلى الأسباب التالية:

1- اختلاف تخصص واهتمامات صاحب التعريف، فتعريف عالم الاجتماع مثلًا يختلف عن تعريف عالم السياسة أو الاقتصاد أو الأنثروبولوجيا[1].

2- اختلاف المدارس والاتجاهات الثقافية في العالم حول تعريف الثقافة))[2].

وقد أشار العلامة مالك بن نبي[3]( ) إلى اثنين من هذه المدارس، وهما: ((المدرسة الغربية [الرأسمالية] : التي ترى أن الثقافة ثمرة الفكر، أي ثمرة الإنسان

---

(1) الأنثروبولوجيا: تطلق على علوم الإنسان، وهي العلوم التي تبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته. راجع: لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص30.

(2) دراسات في الثقافة الإسلامية: د. صالح هندي، ص14، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الثالثة 1402هـ/1982م.

(3) مالك بن نبي (1323 - 1393هـ = 1905 - 1973م): مفكر جزائري، من أبرز المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث، تخصص في الكتابة عن الحضارة والثقافة الإسلامية، من أبرز مؤلفاته: "شروط النهضة"، و"الظاهرة القرآنية"، و"وجهة العالم الإسلامي". راجع: الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي 266/5، دار العلم للملاين، بيروت، الخامسة عشر، 2002م.

(الفرد)، والمدرسة الماركسية: التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع))([1])، وهناك المدرسة الإسلامية التي تعتبر الثقافة انعكاسًا لفلسفة الفرد والمجتمع في آنٍ واحد بشكل متوازن.

ويظهر التباين ذاته في ((اختلاف معنى كلمة الثقافة في الاستخدام الدارج عنه في الاستخدام العلمي، فنحن نستخدم في حياتنا اليومية كلمات مثل: ثقافة، ومثقف، وثقافي، وتثقيف، ... إلخ؛ ليقصد بها معاني غير تلك التي يقصدها المتخصصون في العلوم الاجتماعية التي تتعامل – بصورة أو بأخرى – مع مفهوم الثقافة. فرجل الشارع [أي غير المتخصص] قد يستخدم كلمة «الثقافة» ويفهمها بمعنى سعة الخبرة، والاطلاع على معارف متنوعة في مجالات متعددة، مثل: الآداب والفنون والتاريخ والسياسة. وأحيانا تشير الصفة «مثقف» في الاستخدام الدارج في الحياة اليومية إلى الشخص الذي يقرأ كثيرًا في مجالات المعرفة المختلفة،...وقد تخصص بعض الصحف اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية صفحة أو صفحات تسميها الصفحة الثقافية، وتشير فيها إلى موضوعات في النقد الأدبي، أو قصصًا، أو روايات، أو قصائد شعرية، ..

والواقع أن استخدام كلمة «ثقافة» ومشتقاتها بتلك المعاني كلها إنما يختلف عن استخدامها بالمعاني التي يقصدها العلماء والمتخصصون في الثقافة..))([2]).

**رابعا:** حداثة مصطلح «الثقافة» بمفهومها الشائع اليوم:

ما من شكٍّ في أن «الثقافة» كلمة عربية قديمة، ضاربة بجذورها في تراث العرب ولغتهم، لكنها لم تستخدم كمصطلح في دلالته الحالية إلا في العصر الحديث.

---

(1) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص29، دار الفكر، بيروت ودمشق، السادسة عشرة 1435هـ/2014م.

(2) الثقافة والشخصية: د. فتحي أبو العينين، ص33، 34 باختصار وتصرف.

والمتتبع لمصطلح الثقافة يكاد يجزم بأنه عُرِف حديثا، ((وأنه لا يوجد مستند علمي يُثبِت أو ينفي استعمال هذه الكلمة قبل هذا العصر مصطلحًا علميًّا، وما بين أيدينا من معاجم وقواميس قديمة لم تزد على ذكر معانيها في اللغة العربية.. وحتى بعد نشأة العلوم الإسلامية وظهور الأسماء الاصطلاحية، لا يكاد يجد المتتبع ما يدل على أن هذه الكلمة استعملت قبل العصر الحديث مصطلحًا أو اسمًا يدل على علمٍ بعينه، وإنما بقي استعمالها وفق دلالاتها اللغوية دون أن تتجاوزها إلى دلالات أخرى، من ذلك استعمال ابن سلام لهذه الكلمة حينما قال: (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تَثْقَفُه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان)[1]، فلا يمكن أن نفهم من هذه الكلمة إلا معناها اللغوي، وهو الحذق والفهم والملكة وسعة المعرفة أو الثقافة الأدبية))[2]، كما سيتضح عند تعريف «الثقافة» لغويًّا.

وأما عند الغرب، فقد ((اكتسبت كلمة ثقافة (أو Culture) معناها الفكري في أوربا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر))[3]، وحين نقلت بعض المؤلفات في العلوم الإنسانية إلى العربية في مطلع القرن الماضي، نقل معها هذا

(1) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ت231هـ)، ص26، دار الكتب العلمية، بيروت 1422هـ/2001م.

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د.أحمد الحليبي، ص10، 11باختصار، مكتبة الرشد، السعودية، الأولى 1437هـ/2016م.

(3) سوسيولوجيا الثقافة: د. طاهر لبيب، ص6.

المصطلح الغربي، ووُضِع لفظ «ثقافة» مقابلًا لـه، فالمصطلح فـي أصل وضـعه في الغرب يعتبر مصطلحًا حديثًا، وليس فقط في أدبياتنا العربية[1].

**وممـا يؤكـد أيضًـا حداثــة مصـطلح «الثقافــة»:** ((أن علماءنـا الأولـين لـم يستخدموه فـي كتاباتهم التراثية الأولـى، وأن مصنفاتهم لـم تعهـد دورانـه فيهـا، كمـا أنهم لـم يكونـوا يصفون أو ينعتون الباحثين في العلوم الدينية أو غيرها بـه. وذلك كلـه يـدل علـى حداثـة المصـطلح ونشوئه فـي مرحلـة متـأخرة أثـرًا للتواصـل مـع الحضارة الأوروبية المعاصرة، وصدى لترجمة كلمة (Culture)))[2].

وعليه فالثقافة لفظ مستحدث في زماننا، وشأنه شأن كل حديث في اختلاف الأفهام فيه.

*** تحرير المصطلحات ضرورة عصرية:**

وأقصد بتحرير المصطلح: توضيح وتحديد المراد بالمصطلح من قِبَل مَن أراد استعماله على نحوٍ يُستبعَد معه أن يُفهَم بفهم آخر. لا سيما المصطلحات ذات الخصوصية الحضارية.

**يقـول د. محمـد عمـارة:** ((من العيوب القاتلـة فـي حواراتنـا الفكريـة المعاصـرة: استخدام وترديد العديد من المصطلحات دون ضبط وتحرير لمفاهيم ومضامين هذه المصطلحات، وإذا كان أسلافنا قد قالوا: «إنه لا مشاحّة في المصطلح»، فإن هذه المقولـة صـادقة فيما يتعلق باستخدام المصطلح، أمـا فـي مضامين ومفاهيم

---

(1) الثقافـة الإسـلامية «مفهومهـا. مصـادرها. خصائصـها. مجالاتهـا»: د. عزمـي طـه السـيد وآخرون، ص17، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان 1430هـ/2010م.

(2) دراسـات فـي قضـايا الثقافـة والاقتصـاد الإسـلامي: د. خليفـة بـابكر الحسـن، ص6، مكتبـة وهبة، القاهرة، الأولى1421هـ/2000م.

المصطلح، فكثيرًا ما تكون هناك مشاحّة، عندما تتوحَّد المصطلحات، مع تغاير وتمايز مفاهيمها ومضامينها في الحضارات المختلفة والتيارات الفكرية المتباينة... الأمر الذي يستدعي ويستوجب تحرير مضامين المصطلحات، التي اختلفت مضامينها – وخاصة بعد الاحتكاك الحضاري بين الغرب والإسلام – وذلك حتى لا تكون حواراتنا «حوارات طرشان»، يرددون المصطلحات بينما يفهم كل فريق ما لا يخطر ببال الآخرين))(1).

وينطبق هذا الكلام على لفظة «الثقافة»، فقد ((أخذت مفهومًا عرفيًّا شاع في الفكر العالمي، فبديلتها التي ترجمت عنها في اللغة الإنجليزية (Culture) تعني: الكليات التصورية المتعلقة بالوجود، والكون، والإنسان، والحياة. وهذه المنظومة الفكرية في تلك الثقافات صادرة عن عقل الإنسان، فإذا قلنا: الثقافة الإسلامية، فهم الغربيُّ أنها نتاج تفكير المسلمين في هذه المجالات، بناءً على عقولهم المجردة))(2)، وليس بناءً على التصور المنبثق عن الوحي الإلهي والتشريع السماوي.

**وعليه ينبغي تحرير المصطلح وضبطه على النحو التالي:**

- تتبع الأصل اللغوي للكلمة، لمعرفة جذورها في اللغة العربية ولغة الغرب.
- الوقوف على المعنى الاصطلاحي للكلمة في الفكر الغربي والفكر الإسلامي.
- إدراك العلاقة التي تربط بين «الثقافة» والألفاظ ذات الصلة، وهي كثيرة، منها: (العلم، والحضارة، والمدنية).

---

(1) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص3، 4 باختصار، دار نهضة مصر، القاهرة، الأولى 1999م.

(2) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. عبدالرحمن الزنيدي، بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني 1410هـ/1989م، ص112.

- الانتقال من تعريف «الثقافة» بوجه عام إلى «الثقافة الإسلامية» على وجه الخصوص.

وهو ما سيتم بسطه في صفحات الدراسة بمشيئة الله تعالى.

# الفصل الأول

# تعريف الثقافة بوجهٍ عام

إن معرفة معنى «الثقافة الإسلامية» يستلزم التعرف أولًا على ماهية «الثقافة» بصفةٍ عامة، وبعبارةٍ أخرى فإن تتبع الأصل اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة «ثقافة» يعتبر نقطة بداية تمكننا من استخلاص مفهوم شامل، يصلح من بعد ذلك ليكون مدخلًا لإدراك معنى «الثقافة الإسلامية»، وبالتالي فإن هذا الفصل يهدف إلى الوقوف على ما يلي:

**أولًا:** المعنى اللغوي لكلمة «ثقافة».

**ثانيًا:** طرف من الاستعمالات المختلفة لكلمة «ثقافة» في اللغات الأوربية.

**ثالثًا:** الانتقال بعد ذلك إلى المعنى الاصطلاحي لكلمة «ثقافة».

# المبحث الأول

# الثقافة في لغة العرب

**معرفة الدلالات اللغوية هي الخطوة الأولى في عملية بناء المفاهيم،** ((**والمقصود بالدلالات اللغوية:** المعاني التي وُضِعت بإزاء اللفظ ابتداءً، ويستلزم ذلك الرجوع إلى معاجم اللغة، واستخراج المعاني والدلالات المتنوعة للّفظ، وملاحظة الدلالات الجوهرية والربط فيما بينها، وما تتمخض عنه عملية الربط هذه من دلالات تمثل نواة المفهوم))(1).

و«**الثقافة» في اللغة العربية:** مصدر، فعلها ثقف [بضم القاف وكسرها]، والفعل ثقف ومشتقاته يدور حول عدة معانٍ، منها:

**1- الحِذق والفهم وإتقان الشيء والإجادة فيه:** يقال: ثَقِف الشيءَ ثَقْفًا وثِقَافًا: حذقه ومَهَر فيه، وثقِفَ العلمَ والصناعة: أي أجاد وأتقن، وثقُفَ الرجلُ ثقافةً: أي صار حاذقًا فَهِمًا، ويقال: ثَقِفْتُ كذا، إذا أدركته ببصرك لحِذقٍ في النظر، وأتبعوه فقالوا: ثقْفٌ لقْفٌ: أي خفيفٌ حاذق، وقيل: سريع الفهم لما يُرمَى إليه من كلام باللسان، وسريع الأخذ لما يُرْمَى إليه باليد، وقيل: رجلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ: إذا كان ضابطًا لما يعلم قائمًا به، وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء. والمعنى: حاذقٌ يَتَلقّى المعلومات ويستوعبها بسرعة. ومنه المثاقفة، يقال: ثاقفه: لاعبه إظهارًا للمهارة والحِذْق، ولقد تثاقفوا فكان فلانٌ أثقفَهم، وثاقفه فثقفه: غالبه فغلبه في الحذق والمهارة.

---

(1) الثقافة والحضارة «مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي»: أ. فؤاد السعيد، ود. فوزي خليل، ص88 باختصار، دار الفكر، دمشق، الأولى 1429هـ /2008م.

**2- سرعة التعليم وضبط المعرفة المكتسبة:** يقال: ثَقِف الشيءَ: والمراد سرعة التعلم، ويقال: ثَقِفْتُ العلمَ أو الصناعة: إذا أسرعتُ أَخْذَه واستوعبته في مدة قصيرة، وثَقِف الكلام: فهمه بسرعة.

**3- الفطنة والذكاء والنبوغ وقوة الإدراك:** يقال: ثقِف ثَقَفًا: أي صار فطنًا نابغةً ذكيًّا، والثقيف هو الفطِن، ويوصف الرجل الذكي بأنه ثَقِف، وفي حديث الهجرة: (**وهو غلامٌ شابٌ ثَقِفٌ لقِنٌ**)[1] أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد: أنه ثابت المعرفة بما يُحتاج إليه، وقالوا أيضا: امرأة ثقاف: أي فطنة، ومنه قول أم حكيم بنت عبد المطلب لأم جميل حين حاورَتْها: (**إني حَصَانٌ فما أُكلَّم، وثَقَافٌ فما أُعلَّم**)[2] تقصد أنها حسنة السيرة قويمة الأخلاق، ليس فيها شيءٌ من العوج فتُعلَّم.

**4- الفوز والظفر بالشيء والتمكُّن منه والتغلُّب عليه، والأخذ في قوة:** يقال: ثَقِفْتُ الشيءَ إذا ظفرتُ به، وثقِف الرجلَ: ظفر به، وثقِفْنا فلانًا في موضع كذا: أي أخذناه، ومصدره الثَّقْف. وفي التنزيل العزيز: ﴿**فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ [النساء: ٩١]، قال ابن عطية: ((ثقفتموهم: مأخوذ من الثقاف، أي ظفرتم بهم مغلوبين))[3]، وثقف الرجلَ في الحرب: أدركه..

---

(1) جزء من حديث طويل رواه البخاري: كتاب فضال الصحابة - باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة 3/ 1417ح رقم 3692 من حديث عائشة (رضي الله عنها).

(2) أخرجه: الحميدي في مسنده 323/1، 324، ح رقم 325.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ( المعروف بتفسير ابن عطية ) : ابن عطية الأندلسي 109/2، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 1413هـ/1993م. تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.

5- **التسوية والتقويم والإصلاح:** فالشيء الذي يُسوَّى به «ثِقَاف»، وهو أداةٌ من خشب أو حديد يُثقَّف بها الرماح لتستوي وتعتدل، وتثقيفها: تسويتها بإزالة عقدها وعوارضها حتى تصبح خفيفة مستوية، وثقَّف الشيء: أقام المعوجّ منه وسوَّاه، وثقفتُ الرمحَ إذا هذبته وقومته.

**الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة دَرْءِ الشيء، أي:** ميله وعوجه، ويقال: ثقفتُ القناة: إذا أقمتُ عوجها، وعليه فوسيلة التثقيف قد تكون مادية كعود الثقاف الذي تُسوَّى به الرماح، وقد تكون معنوية كما في قول عائشة تصف أباها (ﷺ): **(وأقام أوَدَ المسلمين بِثِقَافِه)**(1) تريد أنه سوَّى عوج المسلمين.

6- **التأديب والتهذيب والتربية والتعليم:** يقال: ثقَّف الإنسان: أدَّبه وهذَّبه وعلَّمه، وهو استعمال مجازي. يقال: لولا تثقيفك لما كنتُ شيئًا، وهل تهذَّبتُ وتثقَّفتُ إلا على يديك!. ويقال: تثقف فلان، ويقال: تثقف على فلان، وفي مدرسة كذا..(2).

**والمتأمل في المعاني اللغوية لكلمة «ثقافة» يستنتج ما يلي:**

---

(1) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب المناقب – باب ما جاء في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) 34/9 ح رقم 14336.

(2) راجع بتوسع: لسان العرب لابن منظور 19/9، دار صادر، بيروت، الأولى، وأساس البلاغة للزمخشري 10/1، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 1419هـ/1998م تحقيق: محمد باسل، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، ص98، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الرابعة 1425هـ/2004م.

**أولًا:** أنها معاني مترابطة ومتقاربة، وهذا شأن المعاني اللغوية وإن كثرت، فالحِذْق والفطنة طريق إلى سرعة التعلم، وبه يكون الضبط لما يتعلمه، والظفر به وإدراكه، .. وهكذا.

**ثانيًا:** أن الثقافة قد يكون فعلها لازمًا وقد يكون متعديًا، ((فإذا كان الفعل لازمًا، فهي تعني: الحِذق والفطنة، مثل قولنا: ثقُف الرجل، وإذا كان الفعل متعديًا، فهي تعني: التهذيب والتأديب والتعليم والتسوية، مثل قولنا: ثقَّف المعلمُ الطالبَ، وثقف المحاربُ الرمحَ))(1).

**ثالثًا:** ((استعمل العرب مادة «ثقف» بمعانٍ متعددة يرجع بعضها إلى أمور معنوية، كتثقيف العقل، كما يرجع بعضها إلى أمور حسيَّة، كتثقيف الرماح بمعنى تسويتها وتقويم اعوجاجها، وإن كانت دلالتها على الأمور المعنوية أكثر من دلالتها على الحسيات))(2).

ويبدو أن المعنى الأصلي المادي للفعل «ثَقِف» هو تشذيب الرماح وتقويمها، نجد هذا المعنى في شعر عنترة بن شداد في قوله:

**جادَتْ له كَفِّي بعاجلِ طعْنةٍ ** بمثقَّفٍ صَدْقِ الكُعوب مُقوَّمِ**(3)

والمثقَّف: هو الرمح المعدَّل المقوَّم الذي لا اعوجاج فيه، وقد انتقل هذا المعنى المادي الأصلي إلى مجالات غير مادية، فأصبح يقال: ثَقِف الشيء أي تعلمه

---

(1) مدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. أحمد الشرقاوي، ود. إبراهيم عيسى، ص12، دار الرشد، الرياض، الثانية 1427هـ/2006م.

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. إبراهيم الريس، وآخرون، ص9، دار الوطن، السعودية، السادسة عشرة 1433هـ/2012م.

(3) شرح المعلقات السبع: الحسين بن أحمد الزوزني، ص139، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة 1993م. تحقيق: لجنة التحقيق في الدار العالمية.

بسرعة، أو ثقفتُ الشيء أي حذقتُه، ... وهكذا[1]، وإن سلَّمنا بهذا الرأي، فهو من جملـة التغيـرات والتطـورات التـي طـرأت علـى لفـظ «الثقافـة» فـي اللغـة العربيـة، ومقابلها في اللغات الأوروبية كما سيأتي.

**رابعًـا:** أن «الثقافـة» عنـد العـرب تتنـاول الجانـب المعرفـي والجانـب السـلوكي، وهذه أمارة على سعة وتنوع الدلالات اللغوية لمصطلح «الثقافة»، **((**فهو يدل على قدرةٍ فـي العلم ضبطًا وفهمًا، وقدرةٍ فـي تقويم الفكر والسلوك**))**[2]. أمـا الجانـب المعرفـي فهو ذاتـي قُصِـد بـه التفوق الفكري لـدى الإنسان، وذلـك بإصـابة علـم مـا يسمعه علـى استواء، بحسب معاجم اللغة العربية. وأمـا الجانب السلوكي فهو مع الغير، قُصِد به تقويم الأشياء وتهذيبها – مادية كانت أو معنوية.

**خامسًا:** أن المعاني اللغوية للكلمة لها ارتباط وثيق بمفهومها المعاصر، ومهما قيل عن اختلاف معنـى «الثقافة» في مدلولها الحديث عن معناها الأصلي، فإن الصلة تظل وثيقة بين جذور الكلمة اللغويـة وبين دلالاتها العصرية، حتـى ليُخيَّل للباحـث أن الـدلالات العصـرية للكلمـة مـا هـي إلا امتـدادات طبيعيـة ومنطقيـة للمعاني الأولى التي كانت عليها في اللغة. **((**فالثقافة في المفهوم المعاصر تطلق على كل معرفة – عملية كانت أم نظريـة – تقوم على التجربة أو الفكر، وتهدف إلى رقيّ الإنسان وتقدمه في استخدام أساليب الحياة العملية، أو في تقديم تصور حقيقـي لأمـور الكـون النظريـة، أو فـي تقويم سـلوكه وتهذيب نفسـه، فهـي الوعـاء

(1) راجع: الثقافة الإسلامية: د. عزمي طه، ص18.

(2) الثقافـة الإسـلامية: تخصصـا ومـادة وقسـما علميـا: د. عبـد الله الطريقـي وآخـرون، ص12، الأولى 1417هـ.

والغاية لكل نشاط بشري يتم في المجتمع الإنساني، و«المثقف» هو الذي حصل على قدرٍ كافٍ من مختلف علوم ومعارف عصره))([1]).

وبتأمل المعاني اللغوية السابقة، نجد المناسبة قائمة بينها وبين ما صار إليه لفظ «ثقافة» من مضامين أو دلالات اصطلاحية جديدة اكتسبها في الاستعمال الحديث، فالحِذق، والفطانة، والفهم، والضبط، وسرعة التعلم، ونحوها، كلها معانٍ وصفات وثيقة الصلة بما نُسميه اليوم (المثقف)، وهي لوازم لما نتعارف عليه اليوم بعمليات «التثقيف والتعليم والتعلم». بل تقويم المعوج وتسويته وتهذيبه وإصلاحه معانٍ ودلالات ذاتُ عرًى وثيقة بالغاية والمقصد من وراء هذه العمليات،..وهذا يُعدُّ نوعًا من الوضع للمعاني بإزاء الألفاظ لمناسبةٍ بين المعاني الجديدة المكتسبة والمعاني الأصلية أو التي وُضِعت ابتداءً بإزاء اللفظ([2]).

**سادسًا:** أن معاني كلمة «الثقافة» في اللغة تنبئ عن المثالية في الذوق العربي([3])، فقد أطلقوا الكلمة ومشتقاتها على معاني في غاية الرقي، وخلعوا على «المثقف» أوصافًا في غاية الإيجابية، فهو حاذق فطنٌ ذكيٌّ ..، فضلًا عن قدرته على تهذيب وتقويم وتسوية المعوجّ، ... إلخ.

**يقول د. نصر عارف:** ((الثقافة في أصلها العربي تعني مجموعة من الدلالات، منها:

---

(1) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر: د. شوكت محمد عليان، ص11، دار الرشيد، الرياض، الأولى 1401هـ/1981م.

(2) الثقافة والحضارة: أ. فؤاد السعيد، ود. فوزي خليل، ص99، 100 باختصار.

(3) راجع بتوسع: مدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. محمد عبد الله حياني، ص32 وما بعدها، الثانية 1430هـ/ 2009م.

– إن مضـمون مفهـوم «الثقافـة» فـي اللغـة العربيـة ينبـع مـن الـذات الإنسـانية ولا يُغـرس فيهـا مـن خـارج، فالكلمـة تعنـي تنقيـة الفطـرة البشـرية وتشـذيبها وتقـويم اعوجاجها، ثم دفعها لتوليد المعاني الكامنة فيها وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاج إليها الإنسان.

– إن مفهـوم «الثقافـة» فـي اللغـة العربيـة يعنـي البحـث والتنقيـب والظفـر بمعـاني الحـق والخيـر والعـدل، وكـل القـيم التـي تصـلح الوجـود الإنسـاني وتهذبـه وتقـوِّم اعوجاجه. فهو مفهوم يفتح الباب أمام العقل البشري لكل المعارف والعلوم النافعة الصالحة، ولا يُدخل فيه تلك المعارف أو العلوم أو القيم التي تفسد وجود الإنسان ولا تتسق مع مقتضيات التهذيب والتسوية وتقويم الاعوجاج.

– إنه يركز في المعرفة على ما يحتاج الإنسان إليه طبقًا لظروف بيئته ومجتمعه ولـيس علـى مطلـق أنـواع المعـارف والعلـوم، وإنمـا – كمـا يقـول ابـن منظـور –: (( **(هـو غـلامٌ لقِنٌ ثَقِـفٌ)** أي: ذو فطنـة وذكـاء، والمراد: أنـه ثابـت المعرفـة بمـا يُحتاج إليه))[1]، فهو يعتبر الإنسان مثقفًا طالما هو ثابت المعرفة بما يحتاج إليه في زمانه وعصره ومجتمعه وبيئته، ولذلك يكون المثقف – أشد ما يكون – مرتبطًا بمجتمعه وقضاياه بغض النظر عن كمّ المعارف والمعلومات المكدَّسة في ذهنه، إذ المقصود بالثقافة إدراك طبيعة قضايا المجتمع وما يصلحه..

– إنهـا عمليـة متجـددة دائمـة لا تنتهـي أبـدًا، فهـي لا تعنـي أن إنسـانًا أو مجتمعًـا معينًا قد حصَّل من المعارف والعلوم والقيم ما يجعله على قمة السلّم الثقافي أو أنه وصل إلى الغاية القصوى، وإنما دلالات التهذيب والتقويم تعني التجدُّد الذاتي، أي تكرار التهذيب ومراجعة الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها ..))[2].

(1) لسان العرب لابن منظور 19/9.

(2) الحضارة. الثقافة. المدنية، ص31، 32 باختصار وتصرف يسير.

وهكذا يظهر للقارئ أن كلمة «الثقافة» ضاربةٌ بجذورها في أعماق التاريخ الإنساني، فهي قديمة حسب أصولها اللغوية، حديثة بمفهومها ودلالاتها التي طرأت عليها في العصر الحديث، وهو ما سيظهر بوضوح عند عرض مقابلها في اللغات الأوروبية.

# المبحث الثاني
# الثقافة في اللغات الأوروبية

بعد أن استعرضتُ أصول الكلمة وجذورها في لغة العرب، أحاول التعرف على بعض معانيها في لغات الغرب؛ آملًا في الوقوف – بعد ذلك – على الدلالات الاصطلاحية للكلمة في الفكر الإسلامي والفكر الغربي، ولمعرفة معنى «الثقافة» في لغات الغرب، ينبغي الرجوع إلى اللغة اللاتينية؛ لأنها أم اللغات الغربية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية).

اللفظ العربي «ثقافة» ترجمة للفظ الأجنبي (Culture) في اللغات الأجنبية[1]، ويدور معنى الثقافة في أصلها اللاتيني على فلاحة الأرض وتنمية محصولاتها. جاء في معجم «المورد» في مادة (Culture): ((هي: حراثة – تثقيف – تهذيب – ثقافة – حضارة [أو مرحلة معينة من مراحل التقدم الحضاري] – الاستنبات [زرع البكتريا «الأنسجة الحية» للدراسة العلمية أو للأغراض الطبية]..))[2]. وبالتالي فهي تفيد معنى الزراعة والاستنبات.

هذا هو المعنى الأوَّلي للكلمة، غير أنها قد تطورت بعد ذلك، وطرأ على هذا الأصل تغيرات كثيرة، جعلت الكلمة يتسع مدلولها ويتشعّب على النحو التالي:

كانت كلمة (Culture) تدل على تهذيب الأرض واستنباتها وتنمية محصولاتها، وظلت اللفظة مقترنة بهذا المعنى في العصور القديمة والوسيطة، إلى

(1) الموسوعة الفلسفية: د. عبد المنعم الحفني، ص146، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، بدون تاريخ.

(2) المورد «قاموس إنكليزي- عربي»: منير البعلبكي، ص238، دار العلم للملايين، بيروت، الثانية 1970م.

أن ظهر الخطيب والسياسي والكاتب الروماني الشهير «شيشرون» (106-43 ق. م)، فاستعملها بمعناها المجازي، حيث أطلق على الفلسفة ( Culture mentis) بمعنى فلاحة العقل أو تنميته، ورغم أن شيشرون استخدمها مجازًا بالدلالة نفسها، فإن هذا المعنى ظل نادرًا في اللغة اللاتينية(1)، وبقيت الكلمة على دلالتها الأصلية.

وجاء عصر النهضة (من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر الميلادي) ، وتعاظم إنتاج الفكر، وشهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن، وفي الأدب، وفي الفكر (2)، فأطلقت كلمة (Culture) إطلاقًا مجازيًّا على تنمية العقل والذوق، وهو ما نادى به شيشرون من قبل ولم يلق رواجًا، حتى انتشر وأصبح واقعًا وقتها.

ثم صارت تدل على مجموع ثمرات الفكر في ميادين الأدب والفن والفلسفة والعلم والقانون، أي أنها انتقلت من عملية تنمية العقل والذوق إلى حصيلة هذه العملية، أي إلى المكاسب العقلية والأدبية والذوقية التي نعبِّر عنها بالعربية بلفظ «الثقافة».

وأول نص تُستعمل فيه هذه الكلمة بما يشبه هذا المعنى يعود – حسب معجم أكسفورد – إلى عام 1805م. ولا يزال هذا المعنى هو أحد معانيها السائدة في اللغات الغربية، ثم أخذ معناها يتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين، بأن تحوَّل من مجرد الدلالة على الإنماء الفردي إلى الدلالة على أحوال المجتمعات الإنسانية، وغدت هذه اللفظة تُطلق على مجموع عناصر الحياة

(1) راجع بتصرف: في معركة الحضارة: قسطنطين زريق، ص33، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة 1981م.

(2) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص25.

وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات[1]، التي تشكل في مجموعها طريقة حياة ذلك المجتمع.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن ((دلالة اللفظ الأجنبي (Culture) الذي يُترجم إلى اللفظ العربي «ثقافة»، قد انتقل من استعماله في اللغات الأوروبية بمعنى إصلاح الأرض واستنباتها، وتنمية المحصول الزراعي ليكتسب هذا المعنى في مجال العلم والمعرفة، بمعنى «نمو الإنتاج الأدبي والفني والمعرفي والقانوني»، ثم اكتسب مدلولًا لغايةٍ هي الترقية والإصلاح والتقدم نحو الكمال الإنساني من خلال العلوم والفنون والعقائد سواء للفرد أو المجتمع...

ومن الدلالات المكتسبة أنه صار يعبِّر عن الميراث الاجتماعي الذي يكتسبه الفرد من الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، كما يعبِّر عن السلوك المكتسب، وطريقة الحياة لدى جماعة أو شعب معين، ونظرته الكلية للحياة))[2]، وحول هذه المعاني تدور التعريفات الاصطلاحية، كما سيأتي.

وبعد هذا العرض لكلمة (Culture) وما طرأ عليها من تطور، يمكن استنتاج الآتي:

**أولًا:** أن الكلمة قد توسعت لتشمل المعنى المادي والمعنى المعنوي، فهي في أصلها اللاتيني كانت تدور حول معاني فلاحة الأرض وتنمية محصولاتها، ثم توسعت بعد ذلك لتشمل تنمية الأرض بالمعنى المادي أو الحسي، وتنمية العقل والذوق والأدب بالمعنى المعنوي، وهو ما أشار إليه صراحةً توماس هوبس حين

---

(1) في معركة الحضارة: قسطنطين زريق، ص33، 34 باختصار وتصرف.

(2) الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص97 باختصار.

استعمل (Culture) ((بمعنى العمل الذي يبذله الإنسان لغايةٍ تطويرية سواء أكانت مادية أم معنوية))([1]).

**ثانيًا**: أن الكلمة في أصلها اللاتيني لها ارتباط وثيق بالدلالات المعاصرة التي آلت إليها، وهذا طبيعي، فالكلمة مهما تشعبت معانيها وتفرَّعت، تبقى على اتصال بالجذر اللغوي لا ينفك أبدًا، ففي أصلها اللاتيني كانت تشير إلى الزراعة والاستنبات، ثم تطورت إلى تنمية العقل والذوق، ((واستخدمها بذات المعنى فولتير وأقرانه من مفكري فرنسا، حيث كانت كلمة (Culture) تعني لديهم تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة))([2]).

وتطورت الكلمة، وبلغت في الاتساع كل مبلغ، ورغم ذلك أتى هذا التطور في مفهومها نتيجة منطقية وتلقائية للجذر اللاتيني للمفهوم، واتساقًا مع الدلالات النابعة منه، فاختيار هذه الكلمة لتُحمَّل بكل تلك المعاني والدلالات ليس من قبيل الصدفة، بل إن هذا الاختيار يعبِّر عن طبيعة الإنسان الأوروبي، ((فهو إنسان الأرض، وحضارته هي حضارة الزراعة، وعليه فإن العمليات التي تستنتج من الأرض وخيراتها، كالحرث والبذر والحصاد لها بالضرورة دور في نفسية الإنسان الأوروبي، كما أن لها دورًا مهمًّا في صياغة رموز حضارته، ومن ثم فليس غريبًا، إذا ما تعاظم إنتاج الفكر وبدأ غرس القيم الجديدة وحصد ثمار النهضة، أن يطلق الإنسان الأوروبي لفظ (Culture) على هذه العملية))([3]).

---

(1) الموسوعة الفلسفية العربية: د. معن زيادة (محرر) 312/1 بتصرف يسير، معهد الإنماء العربي، الأولى 1986م.

(2) معالم على طريق تحديث الفكر العربي: د. معن زيادة، ص50، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1987م، عدد (115).

(3) راجع: مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص26 بتصرف.

ومن ثم يبدو واضحًا قوة الارتباط بين الأصل اللاتيني والجذر اللغوي لكلمة (Culture) وبين ما آلت إليه من دلالات ومفاهيم بعد ذلك.

**ثالثًا**: التقارب الواضح بين معاني «ثقافة» في اللغة العربية ومعاني (Culture) في اللغات الأوروبية، ((فالمتأمل في الدلالات العربية التي تكمن في اللفظ العربي «ثقافة» يظهر له أنها غير منبتّة الصلة عن الدلالات الأجنبية الكامنة في اللفظ الأوروبي (Culture) الذي يعبِّر في أصله عن عملية إصلاح الأرض واستنباتها، ثم نقلت دلالته إلى مجال العلم والمعرفة والفنون والتعبير عن نموها وتراكمها، وهدفها في النهاية الإصلاح والتقويم، ومن ثم ننتهي إلى أن هناك علاقة بين دلالة اللفظ الأجنبي (Culture) ودلالة مقابله في العربية«ثقافة»..))[1].

وقد استعرض د. حسين مؤنس استعمالات كلمة (Culture) ((التي يراد بها أصلًا إصلاح الشيء وتهذيبه وإعداده للاستعمال، وهنا قالوا (agre–Culture) أي إصلاح الأرض وزراعتها، واستعملت في الأدب اللاتيني المسيحي في معنى تهذيب الروح (Culture animi)، وفي معنى التهذيب الرباني ( Culture Dei)... وعند «لوك» يستعمل اللفظ في معنى تهذيب العقل أو تهذيب الإنسان: (Culture of the mind or of man) ))[2]، ومعلوم أن الإصلاح والتهذيب والتسوية والتقويم هي معاني أصيلة لكلمة «ثقافة» العربية، سواء أكان الإصلاح والتهذيب والتسوية والتقويم ماديًّا أو معنويًّا.

(1) الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص100.

(2) الحضارة: د. حسين مؤنس، ص324 باختصار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978م، عدد (1).

وما من شك في أن هذا التقارب، وقبله التطور الذي مرَّت به لفظة «الثقافة» في لغة العرب قد ألقى بظلاله على الكلمة في الاصطلاح الغربي والفكر الإسلامي، وسوف يتضح ذلك كله في المبحث التالي عند تناول الدلالات الاصطلاحية للثقافة في الفكر الغربي والفكر الإسلامي.

# المبحث الثالث
# الثقافة في الاصطلاح

وبعد الوقوف على أصل كلمة «الثقافة» في اللغة العربية، ومقابلها في اللغات الأوروبية، ينبغي تحديد الدلالات الاصطلاحية للكلمة؛ لما له من أهمية في عملية بناء المفهوم.

**جاء في «التعريفات» للجرجاني أن:** ((الاصطلاح هو: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبةٍ بينهما. وقيل: الاصطلاح: اتفاق طائفةٍ على وضع اللفظ بإزاء المعنى))[1].

وقد سبق القول بأنه «لا مشاحّة في المصطلح» من حيث الاستخدام، فالمصطلحات هي ميراث لكل الحضارات، ولجميع بني الإنسان، لكن المشاحّة والمنازعة تحدث عندما تتوحَّد المصطلحات، مع تغاير مفاهيمها وتمايز دلالاتها، ((بل إن المصطلح الواحد قد تختلف معانيه داخل العلم الواحد لاختلاف المدارس الفكرية والأطر المرجعية للمفكرين والعلماء داخل هذا العلم أو ذاك، كما يُلاحَظ أنه قد يعتريه التطور ويحتاج إلى البحث عن تطور المصطلح الدلالي..))[2].

ولأن مفهوم «الثقافة» هو أحد المفاهيم الوافدة من الفكر الغربي، ينبغي التعرف على دلالاته الاصطلاحية لدى العلماء الغربيين أولًا، ثم الانتقال بعد ذلك إلى دلالاته في الفكر الإسلامي على النحو التالي:

---

(1) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، ص44، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى 1405هـ. تحقيق: إبراهيم الإبياري.

(2) المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم: د. علي جمعة محمد، ص22، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الأولى 1417هـ/1996م.

## المطلب الأول
## الثقافة في الفكر الغربي

كثرت تعاريف «الثقافة» وتنوعت، فقد حاول كثير من العلماء الغربيين، ومازالوا يحاولون الوصول إلى تعريف أو تحديد لمفهوم الثقافة.

ويكاد يتفق معظم المتخصصين في علم الاجتماع وعلوم الإنسان على أن أول تعريف كُتب له البقاء طويلًا، وتمتع بشهرة واسعة هو تعريف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد تايلور[1] (Edward B. Tylor)، فهو من أقدم التعريفات وأكثرها ذيوعًا وانتشارًا حتى الآن لقيمته التاريخية، حيث قدمه في أواخر القرن التاسع عشر «عام 1871م» في كتابه «الثقافة البدائية» الذي ذهب فيه إلى أن «الثقافة» بمعناها الواسع هي: **((ذلك الكل المركَّب الذي يشتمل على المعرفة، والعقائد، والفنون، والأخلاق، والقانون، والعُرْف، وغير ذلك من القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوًا في مجتمع))**[2].

**والمتأمل في تعريف تايلور يلاحظ الآتي:**

**أولًا:** أنه يتسم بالعمومية الشديدة، ويتصف بسعة الدلالة، فالثقافة – من وجهة نظره – تتضمن قطاعات عديدة من أوجه النشاط الاجتماعي، وكل قطاع منها

---

(1) السير إدوارد تايلور «1832-1917م»، أستاذ لعلم الإنسان في جامعة أكسفورد، أسهم إسهامًا كبيرا في دراسة الثقافة، ويرجع الفضل إليه في نشأة علم التطور الثقافي، وعلم الإنسان الثقافي، وذلك عام 1878م. من مؤلفاته: «الثقافة البدائية» و«علم الإنسان». الموسوعة العربية الميسرة: محمد شفيق غربال 920/2، المكتبة العصرية، بيروت، الثالثة 2009م.

(2) تايلور: د. أحمد أبو زيد، ص195، «سلسلة نوابغ الفكر الغربي»، دار المعارف، مصر، سنة 1958م.

ميدان واسع في حدِّ ذاته، وقد انعكست هذه العمومية على نظرة الغرب للثقافة، ((فمصطلح «الثقافة» يعني عند الأوربيين: النظام الكلي في المعرفة، والدين، والأدب، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وهذا هو المفهوم الشائع لكلمة «ثقافة» في الدوائر السياسية والإعلامية ونحوها))(1).

**ثانيًا**: التعريف يجمع بين العناصر «المادية» و«اللامادية»، ((فهو يبرز العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة، كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعًا إلزاميًّا، إلى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوَةً على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة))(2).

**ثالثًا**: يرى البعض أن هذا التعريف ((ليس سوى قائمة بمحتويات الثقافة وضعها تايلور، في حين أن «الثقافة» تنظيم قبل أن تكون «محتوى». ولم يفعل تايلور شيئًا أكثر من أنه قام بعملية وضع أو «رصّ» لمحتويات الثقافة، بحيث إننا إذا ما استثنينا كلمة «كل» لتفرق وتبعثر هذا المضمون الذي جمعه أو «رصَّه» دون «تنظيم أو تنسيق»...))(3).

ووسط هذا المحتوى الذي تضمنه تعريف تايلور للثقافة، جاءت العقائد والأخلاق جنبا إلى جنب مع الأعراف والعادات، وسائر مكونات الثقافة، ((فالتعريف لم يبين – ولو بطريق الإشارة – أي هذه الأجزاء أو الميادين التي تتألف منها الثقافة هو الأهم، وأيها هو الأقل أهمية في تشكيل الثقافة وتحديد

(1) تايلور: د. أحمد أبو زيد، ص195.

(2) نظرية الثقافة: مايكل تومبسون وآخرون «تقديم المراجع أ. د. الفاروق زكي يونس»، ص9، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم (223) سنة 1997م. ترجمة: د. علي سيد الصاوي.

(3) علم الاجتماع الثقافي: د. قباري محمد إسماعيل، ص17، منشأة المعارف، الإسكندرية 1982م.

سماتها، ..وعليه فالتعريف يجعل «المعتقدات» عنصرًا عاديًّا من العناصر المكوّنِة للثقافة، في حين أن مكانة العقيدة في كل الثقافات هي أنها الأساس والمنطلق والموجِّه للثقافة، ولكل أنواع النشاط والسلوك الاجتماعي، وهي التي تصبغ الثقافة بصبغتها وتطبعها بطابعها))[1].

ومهما كانت الملاحظات على تعريف تايلور أو الانتقادات الموجهة له، فمن الإنصاف القول بأنه يمثل أول محاولة جادة لبلورة معنى الثقافة وجعلها أكثر تحديدًا، إضافة إلى أن التعريف ((قد حوى عناصر مهمة منها:

1. أن قضايا الثقافة هي القضايا ذات البعد الإنساني: عقائد، وقيمًا، وفنونًا، ونظمًا، وأعرافًا.
2. أن هذه القضايا تتمثل في صورة بناء متكامل «كل مركب»، وليست جزئيات منفصلة عن بعضها البعض.
3. أنها ليست تميزًا فرديًّا لشخص، وإنما هي اجتماعية، فالشخص يعيشها في ظل مجتمع أو أمة كذلك.
4. أنها ليست معارف نظرية، فلسفة، أو فكرًا مجردًا، ولكنها حياة اجتماعية، وواقع فكري وسلوكي يتحرك به الناس.
5. أنها بمجموعها مميزة لأهل ذلك المجتمع، أو لتلك الأمة عن مجتمعات وأمم أخرى، وهذا هو الواقع، فإن التمايز بين الأمم إنما هو بهذه القضايا: العقائد، والقيم، والنظم، والأعراف، أي: بالثقافة))[2].

---

(1) الثقافة الإسلامية: د. عزمي طه وآخرون، ص21 باختصار وتصرف.

(2) المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية: د. عبد الرحمن الزنيدي، ص13، 14، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الثانية 1434هـ/2013م.

وبنـاءً علـى مـا سبق، فقد اكتسب التعريـف شـهرة علميـة وقيمـة تاريخيـة، نعـم هناك تعريفات كثيرة للثقافة، لكن هذا أشهرها، وكثير من التعريفات التي ظهرت بعد ذلك إنما هي صياغة جديدة لتعريف تايلور السابق، الذي ألهم العديد من العلماء والباحثين فوضعوا تعريفات مشابهة له.

ويمكن القول بأن هذا التعريف الذي كان في نهاية القرن التاسع عشر، قد لفت الانتباه بقوة إلى قضية الثقافة، حتى ((لقد شهد النصف الأول من القرن العشرين إسهامات عديدة، اجتهد أصحابها في تقديم معاني وتعريفات لمصطلح «الثقافة».. بحيث يمكن القول أن النصف الأول من القرن العشرين كان بحق هو حقبة الاهتمام الواسع بالثقافة..))[1].

وقد سبق القول بأن كروبير وكلاكهون في عام 1952م قاما بإنجاز دراسة نقدية، جمعا فيها أكثر من (160) تعريفًا للثقافة قدمها علماء متخصصون منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأجرى المؤلفان نوعًا من التصنيف لهذه التعريفات في ضوء اهتماماتها الرئيسية، والجوانب التي تركز عليها، على النحو التالي:

- **تعريفات وصفية**: وهي التعريفات التي تهتم بوصف محتويات الثقافة، ومعظمها متأثر بشدة بتعريف تايلور، ومن أبرزها تعريف فرانس بواز الذي رأى أن الثقافة ( تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعةٍ ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تحددها تلك العادات).

---

(1) الثقافة والشخصية: د. فتحي أبو العينين، ص39باختصار.

▪ **تعريفات تاريخية:** ويركز هذا النوع من التعريفات على مسألة انتقال الثقافة – كموروث – إلى الأجيال التالية، فقد عرَّف سايبر الثقافة بأنها: (مجموعة الممارسات والمعتقدات المتوارثة اجتماعيًا، التي تحدد جوهر حياتنا).

▪ **تعريفات معيارية أو قيمية:** وينظر أصحاب هذه التعريفات إلى الثقافة على أنها أسلوب حياة ينهض على قيم ومُثل معيَّنة هي التي تحدد للأفراد أفعالهم واختياراتهم..ومن العلماء الذين قدموا تعريفات تندرج تحت هذا الصنف: هيرسكوفيتش(1) الذي يذهب إلى أن الثقافة هي (طريقة حياة الناس، بينما المجتمع هو جمع منظم من الأفراد الذين يتبعون طريقًا معيَّنًا للحياة. بعبارةٍ أبسط: يتكون المجتمع من أفراد، أما الطريقة التي يتصرفون بها، فهي ثقافتهم).

▪ **تعريفات نفسية:** وأهم ما يميز هذه التعريفات هو أنها تنظر إلى الثقافة بوصفها شيئًا يتشكَّل من خلال عمليات التعلم، ويستخدمه الناس من أجل تحقيق تكيف لظروف حياتهم، وبالتالي فإنها تعد أداة لحل المشكلات.

▪ **تعريفات تكوينية:** وهي التعريفات التي تنصرف إلى تفسير كيفية نشأة الثقافة، وأصولها، والعوامل التي أفضت إلى تشكلها..، وهي تعريفات تركز على كون الثقافة نتاجًا للتفاعل بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والبيئة. وهذا التركيز يبغي إبراز إنسانية الإنسان وتميزه عن الحيوان من ناحية، وتأثير الوجود الاجتماعي للإنسان في بيئة محددة من ناحية ثانية. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يخلق الثقافة..

---

(1) هيرسكوفيتش، ميلفيل (1895–1963م) عالم أمريكي، يعتبر رائد الدراسات الإفريقية في أمريكا؛ إذ نصب اهتمامه على دراسة أكثر نواحي الحياة حيوية في القارة. راجع: أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي: د. محمود أبو زيد 59/2.

▪ **تعريفات شمولية:** والسمة المميزة لهذا النوع من التعريفات هي أنه يسعى إلى إدراك الثقافة ليس من زاوية واحدة أو بالتركيز على جانب أو عنصر معينٍ، مثل محتواها، أو أصلها فقط، وإنما من منظور كلي شامل لا يغفل جانبًا معيَّنًا، ولا يهمل أي بُعد من أبعادها...))(1).

ولا يعنيني هنا استقصاء تلك التعريفات بقدر ما يعنيني إبراز فكرة التصنيف، وكونها تبرهن على إشكالية اختلاف زاوية النظر لدى معرِّفي الثقافة، فكلٌ عرفها بحسب نزعاته واتجاهاته.

وقبل أن أغادر هذا المطلب إلى غيره، أجد من الضروري أن أشير إلى تعريف آخر للثقافة؛ كونه عصريًّا، ويُنسب إلى المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» التابعة لهيئة الأمم المتحدة، تلك المنظمة التي بذلت جهودًا في مجال تعريف الثقافة، كان أهمها عقد مؤتمر عالمي سنة 1982م في المكسيك، صدر عنه إعلان باسم «إعلان مكسيكو للثقافة» عرف الثقافة فيه بأنها: ((جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية التي تميز مجتمعًا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والتقاليد والمعتقدات.

والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وتجعل منه كائنًا يتميز بالإنسانية المتمثلة بالعقلانية، والقدرة على النقد، والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه،

---

(1) راجع بتوسع: الثقافة والشخصية: د. فتحي أبو العينين، ص40 وما بعدها، وراجع أيضا: في أصول التربية: د. محمد الهادي عفيفي، ص123 وما بعدها، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون.

والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته، والبحث عن مدلولات جديدة، وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه))([1]).

**وبقراءة واعية لهذا التعريف نلاحظ الآتي:**

**أولًا:** التعريف صياغة جديدة لتعريف تايلور السابق، من حيث العمومية وسعة الدلالة.

**ثانيًا:** أنه يجعل العقيدة جزءًا من الثقافة، بل إنه – بحسب د. عزمي طه – ((يجعل الثقافة بديلًا عن الدين، وهذا التوجه في التفكير الغربي له ما يبرره لديهم، ولا يصعب التدليل عليه، فهم ينطلقون من منطلقات علمانية، نحَّت الدين جانبًا، وكان لابد لها من وضع بدائل للدين تقوم بوظائفه الأساسية، فكان مصطلح «ثقافة» أحد هذه البدائل))([2]).

وفي إطار تحليله لدلالة المصطلح في أدبيات منظمة «اليونسكو» يقول د. حسين مؤنس: ((وخلاصة الآراء أن ثقافة شعب هي طريقته الخاصة به في الحياة، موقفه منها وآراؤه فيها وفلسفته تجاه مشاكلها، ثم تصوره لوضعه في الحياة، ...

والثقافة تفهم على أنها طريقة الشعب في الحياة بكل ما تتضمنه حياة الشعب من تفاصيل، تتصل بالطعام والشراب والمسكن والأثاث والفرش والأقاصيص والأمثال والحكم وتنظيم الأسرة، وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض أو علاقتهم بالمجموع أسرة واحدة لها كيانها، وعلاقة المجموع بها متمثلًا في جماعة ذات نظام اجتماعي وتكوين فكري خاص بها.

---

(1) الوثائق الرئيسية لإعلان مكسيكو بشأن الثقافة، ص8، نقلًا عن: المثقف العربي: د. عبد الرحمن الزنيدي، ص14.

(2) الثقافة الإسلامية: د. عزمي طه وآخرون، ص21.

كل هذا يمكن أن تسميه أسلوب الشعب في الحياة، والأسلوب هو الذي يميز الإنسان عن غيره، .. فإذا كانت الثقافة هي أسلوب الشعب في الحياة، فهي إذن هذا الشعب نفسه بكل خصائصه الميزة له، أو التي يشترك فيها مع غيره من الشعوب..))([1]).

وهكذا يميز د. حسين مؤنس بين مستويين للثقافة هما: **الأول:** مستوى أكثر خصوصية وتحديدًا، حيث تصبح الثقافة هي: كل ما يميز شعبًا من الشعوب عن غيره، **والثاني:** مستوى أكثر عمومية وشمولًا، إذ يعني: كل ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات ويجعله إنسانًا([2]).

وعودة إلى تعريف الثقافة في إعلان مكسيكو تجد الإشارة واضحة إلى هذين المستويين في عبارة: ((التي تميز مجتمعًا بعينه)) وعبارة: ((وتجعل منه كائنًا يتميز بالإنسانية))، وعليه فالثقافة هي عنوان تمايز الإنسان عن غيره من المخلوقات، كما أنها عنوان تمايز الأمم والمجتمعات.

## المطلب الثاني
## الثقافة في الفكر الإسلامي

سبق القول بأن كلمة «الثقافة» قد انتشرت على الأقلام والألسنة بدلالات ومفاهيم لم تكن لها في تراثنا اللغوي والأدبي، ومع شيوعها فقد اختلف العلماء والمفكرون من المسلمين وغيرهم في تحديد مفهومها، شأنها شأن كثير من المصطلحات المعاصرة، وعليه فقد تعددت الآراء حول الدلالات الاصطلاحية للكلمة على النحو التالي:

---

(1) الحضارة: د. حسين مؤنس، ص331 باختصار.

(2) راجع بتصرف: الثقافة والحضارة: أ. فؤاد السعيد، ص52، 53.

عرفها المجمع اللغوي بأنها: **((جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلَب العلم بها والحِذْق فيها))**، ونصَّ على أنها **((مُحْدَثَة))**(1). يقصد أنها بهذه الدلالات وتلك المعاني لم تكن موجودة قديمًا، وإنما استحدثت تلك المفاهيم في العصر الحديث.

والمتأمل في التعريف يلاحظ أنه يُقْصِر الثقافة على «الجانب المعرفي» فقط، في حين أن الثقافة لا تقتصر على الجانب المعرفي والفكري، بل تشمل الجانب الوجداني، والروحي، والسلوكي، وهناك من يوسع مفهوم الثقافة بحيث تشمل الجانب المادي أيضًا، كما سيأتي.

وعرفها آخرون بأنها تعني: **((الأخذ من كل علم بطَرَف))، ولا يُراد بها التعمق في دراسة علم من العلوم، ولذلك يقولون: تعلم شيئًا عن كل شيءٍ لتكون مثقفًا، وتعلم كل شيءٍ عن شيءٍ لتكون عالمًا**(2).

وقد شاع هذا التعريف على ألسنة غير المتخصصين، وردَّده وتحمس له من يجهلون قدر الثقافة وأثرها في حياة الأمم والشعوب.

((وفي ضوء مثل هذا التعريف يكون المثقف هو الذي يعرف نتفًا من علوم كثيرة أو من كل العلوم. والحق أن مثل هذا المفهوم للثقافة يفيد في مجال الإمتاع والمؤانسة، ولكنه لا يفيد في بيان حقيقة المشكلات الثقافية العديدة، مثل: التنمية الثقافية، والغزو الثقافي، ودور المثقف في المجتمع وغيرها، كما أنه لا يفيد في تقديم الحلول لها على المستوى النظري أو العملي، ومع ذلك كله فإن الغالبية من الناس والكتّاب تنصرف أذهانهم إلى هذا المعنى وهم يناقشون أو يعالجون قضايا

---

(1) المعجم الوسيط، مادة «ثقف»، ص98.

(2) نحو فلسفة عربية للتربية: د. عبد الغني النوري، ود. عبد الغني عبود، ص54، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى 1976م.

الثقافة، مما يجعل معالجاتهم في آخر الأمر لا تتجاوز في جدواها – في أحسن الأحوال – غرض الإمتاع والمؤانسة))[1]، وفي ذلك ما فيه من التسطيح لمعنى الثقافة والتهوين من شأنها، والتقليل لفاعلية رسالتها، ولعل من عرَّف الثقافة بهذا المعنى كان يشير إلى الاستخدام الدارج للكلمة على ألسنة العوام في حياتنا اليومية بحسب د. فتحي أبو العنين[2]، أو بحسب د. محمد رشاد سالم حين قال ما نصه: ((الثقافة هي – بإيجاز – أن يعرف المرءُ شيئًا عن كل شيء، أو أن يلم إلمامًا يسيرًا بأكثر ضروب المعرفة، ولكنها تطلق اصطلاحًا ويُقصد بها – بوجهٍ خاص – المعرفة المتصلة بالعلوم الإنسانية التي ترقى بالإنسان وتوسع دائرة معارفه وتميزه بالنظرة الشاملة، بحيث ينعكس هذا كله على شخصيته وسلوكه، مما يجعل منه رجلًا واسع الأفق مهذبًا يحسن التأني للأمور ويجيد التصرف في شؤون حياته، يعرف حقوقه ويحرص على أداء واجباته))[3].

*** رؤية العلامة مالك بن نبي للثقافة:**

إن ما قدمه العلامة ابن نبي من معالجة لقضية «الثقافة» ليس مجرد تعريف، ولكنها رؤية شاملة تضيء الطريق للباحثين، فهي بمثابة أساس يمكن الانطلاق من خلاله لمزيد من الفهم والاستيعاب لقضية الثقافة، ففي أحد تعريفاته للثقافة يقول ابن نبي (  ): **((فالثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها: مجموعة من الصفات الخُلُقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح**

(1) الثقافة الإسلامية: د. عزمي طه، وآخرون، ص23.

(2) راجع: الثقافة والشخصية: د. فتحي أبو العنين، ص33، 34.

(3) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. محمد رشاد سالم، ص9، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، التاسعة 1407هـ/1987م.

**– لا شعوريا – العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي وُلِد فيه))**(1).

**والمتأمل في رؤية مالك للثقافة عامة وهذا التعريف خاصة يستنتج الآتي:**

**أولا:** الثقافة علاقة متبادلة بين الفرد والمجتمع: على خلاف ما رأيناه في فكر المدرسة الغربية التي تقدم الجانب النفسي «الفردي»، معتبرين أن الثقافة هي قضية الإنسان، والمدرسة الماركسية التي تقدم الجانب الاجتماعي، فالثقافة – في نظرهم – هي قضية المجتمع.

الثقافة – بحسب ابن نبي – هي ((العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد))(2)، فهي علاقة متبادلة بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع، ((وهكذا تذوب الثقافة بعناصرها في كيان المجتمع لتطبع أسلوب حياته، وفي كيان الفرد لتطبع سلوكه مع تفاعل مستمر بين هذا الأسلوب وهذا الأسلوب، في صورة التزام مزدوج بين الفرد والمجتمع، التزامًا لا يَسمَح معه هذا لذاك بأي نشوز في السلوك، ولا ذاك لهذا بأي انحراف في الأسلوب؛ إذ يتدخل في الحالة الأولى ما يُسمى بـ "الضغط الاجتماعي"، وفي الثانية كل مواقف الفرد التي تعبر عن استنكاره، سواء بما نسميه اليوم النقد أو ما يشير إليه الحديث الشريف: ( **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**)(3)، ...))(4).

---

(1) مشكلة الثقافة: مالك ابن نبي، ص74.

(2) السابق، ص43.

(3) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص 69/1 ح رقم 49، من حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

(4) مشكلة الثقافة: مالك ابن نبي، ص90.

وهكـذا يجمـع التعريـف بـين فلسـفة الفـرد ومقوماتـه وبـين فلسـفة الجماعـة ومقوماتها، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعًا في كيان واحد، حتى يحدث التأثير والتأثر الذي يصوره د. شوكت عليان بعبارة سلسلةٍ فيقول: ((مما لا شك فيه أن المجتمع له أثر كبير في ثقافة الأفراد، ولا يعني هذا أن الأفراد يقتصر دورهم على مجرد تلقي العلوم من المجتمع والتأثر به في تكوين ثقافتهم، وإنما هم كذلك يتبادلون مع المجتمع التأثير والتأثر، حيث يقومون بعمل إيجابي في التأثير في ثقافة مجتمعاتهم ونموها وتطورها،..ولولا هذا التأثير لما كان هناك معنى للتقدم والتطور في مختلف مجالات الحياة، فالإنسان يتلقى ثقافة مجتمعه ويضيف إليها، ويفكر ويكتشف ويبتكر، ومن حصيلة هذا أو ذاك يضيف إلى ثقافة مجتمعه ما ينميها ويطورها))([1]).

**ثانيًا**: الثقافة مدخل مهم لتفسير سلوك الإنسان: ففي ضوء الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تلقاها الفرد وتشكلت منهما ثقافته، يمكن تفسير سلوكه وفهم تصرفاته، وبالتالي ((فقد أضحى العامل الثقافي هو الأهم في تفسير سلوك الإنسان، ولم تعد عناصر مثل البيئة الجغرافية أو الجنس، من العناصر الحاسمة في تفسير السلوك؛ نظرًا لنجاح الإنسان في إبطال أو تحييد مفعول البيئة الطبيعية...، وذلك بفعل ما ابتكر الإنسان من أدوات ومخترعات قلَّلت من تأثير عوامل الطبيعة على سلوك الإنسان من جانب، وأحدثت تغييرًا في تصرفاته وأسلوب حياته من جانب آخر..

كما أن الإضافات التي وصل إليها الإنسان بنفسه في شتى نواحي الحياة، عبر مراحل تطوره الاجتماعي التي تمثل أسلوب الحياة عند أي جماعة إنسانية،

---

(1) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، ص13، 14، باختصار يسير.

وفي مقدمتها اللغة والقيم الأخلاقية والجمالية والدينية، هي من العوامل الثقافية في تفسير السلوك الإنساني))(1).

ويعقد مالكُ بن نبي موازنةً تساعد على إدراك فكرة «الثقافة» في أعم مظاهرها، وهي لطبيب إنجليزي وراعٍ إنجليزي كذلك، ((فهما لا يمكن أن يلتقيا في المكونات الخاصة التي تمليها المهنة، ومع ذلك فإن هناك تشابهًا عجيبًا في سلوكهما الخاص، هذا التشابه من أخص الأمور وأهمها في تحديد ثقافة مجتمع معين، هو يحدد في الواقع أسلوب حياة ذلك المجتمع، كما يحدد سلوك أفراده ومدى ما بينهم من تبادل في هذين الجانبين))(2). ثم يقول: ((لدى ميلاد المجتمع الإسلامي مثلًا كانت ثقافة هذا المجتمع جدّ متجانسة، متحدة الطابع عند الخليفة والبدوي البسيط، وذلك يتجلى في موقف عمر عندما خطب المسلمين غداة توليه الخلافة، فقال قولته المشهورة: ((يا أيها الناس، من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقومه))، وكان الرد على هذه المقولة ما نطق به أحد أولئك البدو البسطاء: ((والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا))(3).

هذا الحوار الفريد كان يَطبع بطريقةٍ رائعة أسلوب الحياة في مجتمع، اتحدت فيه حركات الفكر والعواطف ودوافع العمل، وفي كلمة واحدة: اتحد فيه شكل السلوك لدى الخليفة والبدوي البسيط، .. فالخليفة المسلم والراعي المسلم يتصفان

---

(1) انظر: الحضارة: د. أحمد حمدي، ص7، 8، نقلًا عن: الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص121.

(2) مشكلة الثقافة: مالك ابن نبي، ص51.

(3) كفاية الطالب الرباني: أبو الحسن المالكي 153/1، دار الفكر، بيروت 1412هـ. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

بسلوك واحد؛ لأن جذور شخصيتهما تغور في أرضٍ واحدة، هي المجال الروحي للثقافة الإسلامية.

والطبيب الإنجليزي والطبيب المسلم يختلف سلوكهما؛ لأن جذورهما لا تغوص في الأرض نفسها، على الرغم من أن تكوينهما المهني يتم في إطار منهج واحد. فلكل ثقافة وجودها الخاص ، الذي تزداد معه قدرتها على التمييز كلما تغير المستوى الاجتماعي لجانبي الموازنة، فلو أننا بدلًا من أن نعقد هذه الموازنة بين طبيبين عقدناها بين طبيب إنجليزي ورجل من عامة المسلمين، فسنجد أن فروق السلوك تزداد بصورة مذهلة))(1).

وهكذا كلما وُجدت مشتركات اجتماعية أو مهنية أو نحوها، انعكس ذلك على تقاربٍ ما في «الثقافة»، وكان له أثره في تفسير السلوك الإنساني.

ومما سبق يبدو واضحًا أن ابن نبي قد استوعب قضية الثقافة، واجتهد في تقديم رؤية لها، وخير شاهد على ذلك أن جُلَّ تعريفات الثقافة ودلالاتها الاصطلاحية في الفكر الإسلامي قد اقتربت إلى حدٍ كبير من تعريف مالك وتصوره للثقافة، وسأكتفي بإيراد بعض الأمثلة لتأكيد ذلك:

**في تعريفه للثقافة يقول العلامة محمود شاكر:** ((الثقافة في جوهرها لفظٌ جامع يُقصد بها الدلالة على شيئين أحدهما مبني على الآخر، أي هما طوران متكاملان:

- **الطور الأول:** أصول ثابتة مكتسبة تنغرس في نفس الإنسان منذ مولده ونشأته الأولى حتى يُشارف على الإدراك البيّن، جِماعُها كل ما يتلقاه عن أبويه وأهله وعشيرته ومعلميه ومؤدبيه، حتى يصبح قادرًا على أن يستقل بنفسه وعقله..، وهذه الأصول ضرورة لازمة لكل حيّ ناشئٍ في مجتمع ما؛ لكي تكون له «لغة» يبين

(1) مشكلة الثقافة: مالك ابن نبي، ص51، 52.

بها عن نفسه، و«معرفة» تتيح له قسطًا من التفكير يعينه على معاشرة من نشأ بينهم من أهله وعشيرته..

- **الطور الثاني:** فروع منبثقة عن هذه الأصول المكتسبة بالنشأة. وهي تنبثق حين يخرج الناشئ من طور التلقِّي إلى طلاقة التفكير، فالناشئ إذا بلغ مبلغ الرجال استوَتْ مداركه، وبدأت معارفُه يتفصَّى بعضها من بعض، أو يتداخل بعضُها في بعض، ويبدأ العقل عمله المستتبّ في الاستقلال بنفسه، ويستبدّ بتقليب النظر والمباحثة وممارسة التفكير والتنقيب والفحص، ومعالجة التعبير عن الرأي الذي هو نتاج مزاولة العقل لعمله، فعندئذ تتكون النواة الجديدة لما يمكن أن يُسمى «ثقافة»..))(1)، وهكذا عبَّر العلامة شاكر عن حقيقة «الثقافة»، وكيف تتكون بانتقال الإنسان من مرحلة التلقي إلى مرحلة الاستقلال والتفاعل مع المجتمع.

**وجاء في «الخطة الشاملة للثقافة العربية» الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «ألكسو» أن:** ((الثقافة تشمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناهما الواسع، وما يتصل بهما من مهارات أو يعين عليهما من وسائل، فهي موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى، متأثرةً بها، معينةً عليها مستعينةً بها))(2).

**ثم فسرت اللجنة هذا التعريف قائلةً:** ((فالثقافة تنتظم جميع السمات المميزة للأمة من مادية، وروحية، وفكرية، وفنية، ووجدانية، وتشمل مجموعة المعارف والقيم، والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي

---

(1) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر، ص71 وما بعدها، مكتبة الخانجي، القاهرة، الثانية 1427هـ/2006م.

(2) الخطة الشاملة للثقافة العربية 42/1، نقلًا عن: المثقف العربي للزنيدي، ص15.

والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطرُز الحياة، كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا، ومحاولته إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائب عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله، وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته، والثقافة هي التي تمنح الإنسان القدرة على أن يفكر في نفسه، وهي التي تجعل منا فعلًا كائنات إنسانية مفكرة ملتزمة أخلاقيًّا ومعنويًّا، قادرة على التقويم، وبالثقافة يميِّز الإنسان بين القيم، ويمارس الاختيار، ويعبِّر عن صميم ذاته، ويعي ويعرف أنه مشروع غير كامل لكنه في السبيل إلى الكمال))([1]).

والتشابه بين هذا التعريف وتعريف «اليونسكو» لا يخفى، ((بل إنه تعدَّى الجوهر والمضمون إلى العبارات والألفاظ، وهو كتعريف اليونسكو يغفل العقيدة ودورها في حياة الإنسان، وهو أمرٌ إن كان له ما يبرره في العالم الغربي الذي تسوده العلمانية، فإنه في العالم العربي ليس له تبرير أو تسويغ ألبتة))([2]).

وعرفها الأستاذ/ محمد المبارك (  ) بقوله: ((وقد أصبحت كلمة الثقافة تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية والخبرة العملية، التي تحدد طريقته في التفكير، ومواقفه في مختلف طرق الحياة، من أي جهة حصلت تلك المعرفة وتلك الخبرة، سواء أكانت من البيئة والمحيط والمدرسة والمهنة أم من طرق أخرى غيرها))([3]).

(1) الخطة الشاملة للثقافة العربية 42/1، نقلًا عن: المثقف العربي للزنيدي، ص15.

(2) الثقافة الإسلامية: د. عزمي طه، وآخرون، ص23 باختصار.

(3) نقلًا عن: لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص28.

**وعرفها البعض بأوجز عبارة فقال:** ((الثقافة هي الفكر الذي يترتب عليه سلوك العامة والخاصة))(1)، والتعريف على بساطته يجسِّد الأهمية الكبرى للثقافة.

**وقريب منه تعريف آخر يقول:** ((الثقافة هي اصطلاح معاصر يجسِّد خصائص كل أمة ويبرز مقوماتها العقدية والفكرية والقيمية))(2).

**وعرفها آخرون فقالوا:** ((الثقافة تُطلق الآن ويراد بها التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة، والذي يُنتسب إليها، وعلى الأمة أن تدرسه وأن تتفهمه وأن تنميه عن طريق جهدها الدائب والمستمر في سبيل الوصول بهذا التراث إلى المستوى الذي يليق بواقع الأمة، والذي يعبر عن تطورها الحضاري ونموها الفكري))(3).

وبعد استعراض الدلالات الاصطلاحية للثقافة في الفكر الإسلامي يمكن استنتاج الآتي:

**1-** سعة الدلالات الاصطلاحية للكلمة، فالمطالع للتعريفات السابقة يجد أن الثقافة ترتبط بالفرد كما ترتبط بالمجتمع والأمة، وأنها تشتمل على العلوم والمعارف كما تشتمل على القيم والمبادئ، وبالتالي فقد أصبحت الكلمة تستعمل في معانٍ مختلفة لا تخرج عن المعنى الأصلي، وإن كان مدلولها في العصر الحديث يتسع لما لا يتسع له المعنى اللغوي.

---

(1) المشترك الإنساني: د. راغب السرجاني، ص449، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الأولى 1432هـ/ 2011م.

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. أحمد الحليبي، ص12، 13.

(3) مبادئ الثقافة الإسلامية: د. محمد فاروق النبهان، ص12، 13، دار البحوث العلمية، الكويت، الأولى 1394هـ/1974م.

**2**- تقارب الثقافة بمعناها العام بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي، وإن اختلفت أساليب التعبير وتفاوتت صيغ التعاريف وألفاظها.

**3**- الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة، فهي – بحسب العلامة محمود شاكر – ((مطلوبة في كل مجتمع إنساني للإيمان بها أولًا عن طريق العقل والقلب، ثم للعمل بها حتى تذوب في بنيان الإنسان وتجري منه مجرى الدم لا يكاد يُحسُّ به، ثم للانتماء إليها بعقله وقلبه وخياله... فالعاصم للإنسان من الوهم والضلال يأتي من قِبَل «الثقافة» لا من حيث هي معارف متنوعة تُدرك بالعقل وحَسْب، بل من حيث هي معارف يؤمن بصحتها، ومن حيث هي معارف مطلوبة للعمل بها، والالتزام بما يوجبه ذاك الإيمان...، وهذه القيود الثلاثة: «الإيمان، والعمل، والانتماء»، هي أعمدة الثقافة وأركانها التي لا يكون لها وجود ظاهر محقق إلا بها، وإلا انتقض بنيان الثقافة، وصارت مجرد معلومات ومعارف وأقوال مطروحة في الطريق، متفككة لا يجمع بينها جامع، ولا يقوم لها تماسك ولا ترابط ولا تشابك))(1).

**4**- تعريفات الثقافة يكمل بعضها بعضًا، وبالتالي فلا تعارض حتى بين التعريفات النوعية للثقافة، وهي تلك التعريفات التي يركز فيها المتخصصون في العلوم المختلفة على جوانب تنتمي إلى تخصصهم الدقيق، فما يراه علماء الإنسان من أن الثقافة ((تمثل أسلوب الحياة في مجتمع ما، بما يشمله هذا الأسلوب من تفصيلات لا تُحصى من السلوك الإنساني)) هو فهم صحيح لا يتعارض مع ما

(1) راجع: الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر، الصفحات28، و30، و68.

يراه علماء الاجتماع من أن الثقافة يقصد بها الأنماط الدائبة التغير للسلوك الإنساني المكتسب...(1) وهكذا.

**وبعد:** فقد كانت هذه محاوله للاقتراب من «الثقافة» بوجهٍ عام، ابتداءً بجذورها اللغوية ومرورا بدلالاتها الاصطلاحية في الفكرين الغربي والإسلامي، للوقوف على مدى التطور الذي حصل للمفهوم في العصر الحاضر، وهو ما يعكس أهمية «الثقافة» ومكانتها بلا شك.

# الفصل الثاني

# الألفاظ ذات الصلة بالثقافة

استكمالًا لتوضيح معنى «الثقافة » ينبغي الوقوف على طبيعة العلاقة بين مصطلح الثقافة والمصطلحات الأخرى ذات الصلة، من خلال أمرين هما:

1. بيان مدى ارتباط هذه المصطلحات بـ «الثقافة».
2. معرفة الفرق بين «الثقافة» وبين المصطلحات المقاربة لها.

**ويمكن إجمال هذه المصطلحات في:** «العلم، والحضارة، والمدنية» على النحو التالي:

## المبحث الأول

## العلاقة بين الثقافة والعلم

يخلط البعض بين الثقافة والعلم، رغم اختلاف واقع كل من «المعرفة الثقافية» و«المعرفة العلمية» من حيث طبيعة وموضوع كل منهما على النحو التالي:

---

(1) ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة: د. عبد الحليم عويس، ص17 باختصار، دار الصحوة، القاهرة، بدون تاريخ.

**العلم في اللغة:** يرادف الفهم، والمعرفة، واليقين، وإدراك الشيء بحقيقته..([1]).

**وفي الاصطلاح:** هو مجموعة الحقائق التي توصَّل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن، والمحررة بالامتحانات المتكررة، فلا تختلف بتفاوت الأذواق، ولا تتغير بتطور المصالح([2]).

((وحقائق الأشياء التي يصل إليها الإنسان لا تخضع لثقافة الباحث، ولا تتأثر بمعتقده، فحقيقة كون الأجسام تتمدد بالحرارة ونحوها لا تتأثر بإيمان المؤمن، ولا إلحاد الملحد، وسواء أجريت هذه التجربة في بلاد المسلمين، أو بلاد غير المسلمين فإن النتيجة هي هي))([3]).

**وتُقسَّم العلوم في العصر الحالي تقسيمات مختلفة، من أبرزها وأكثرها شيوعًا:**

**1- العلوم النظرية:** وهي علوم دينية وإنسانية خاصة بأمةٍ بعينها، كعلوم الدين، والأدب، واللغة، والتاريخ، والاجتماع،...وهذه العلوم ونحوها هي إحدى مكونات الثقافة، فهي تشارك في رسم ملامح الثقافة واتجاهها وبُعدها الفكري.

**2- العلوم التجريبية:** وهي علوم تطبيقية مشاعة ساهمت في تراكمها كل الأمم، ويُطلق عليها «العلوم الطبيعية»؛ لأن موضوعاتها تتعلق بموجودات الكون

---

(1) راجع: لسان العرب 416/12 وما بعدها، والمعجم الوسيط، ص224.

(2) الثقافة الإسلامية «تعريفها – مصادرها – مجالاتها – تحدياتها»: د. مصطفى مسلم وزميله، ص11، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار البشير، الشارقة، الأولى 1425هـ/2004م.

(3) منهج الثقافة الإسلامية: العلامة محب الدين الخطيب، ص14، هدية مجلة التوحيد عن شهر ذي الحجة 1419هـ.

الطبيعيــة، كالطــب، والهندســة، والفيزيــاء، والجيولوجيــا "علــم طبقــات الأرض"، والأحياء، ونحوها.

وعليه فالكلام عن صلة الثقافة بالعلم ينصرف إلى العلم التجريبي الذي يمثل قاسمًا مشتركًا بين البشر جميعًا على اختلاف ثقافاتهم، فهو تراث إنساني عالمي، ويختلف عن «الثقافة» من أوجه عديدة، من أهمها:

1- الثقافة طابعها شخصي «ذاتي» والعلم طابعه موضوعي «عالمي»: ويعني الطابع الشخصي للثقافة ((أنها تختلف من ثقافة أمةٍ لأخرى، فثقافة الوثني والنصراني والهندوسي..إلخ تختلف عن بعضها البعض؛ لأن كل ثقافة تستمد عناصرها من تصورها الديني في المقام الأول))[1]، وبالتالي فهي تخصُّ كل أمة بعينها، ويعني الطابع الذاتي للثقافة: أنها تعبر عن الطبيعة الذاتية لشعب من الشعوب، فهي تعتبر ملكًا ذاتيًا يشكل هوية الشعب وطبيعته الخاصة، ولذلك كان لكل أمة ((لون قومي خاص تستمده من مألوفها، ومن مواريثها الأدبية، ومن ظروفها الجغرافية، ومن ضروراتها الإقليمية، وحاجاتها الاجتماعية. ولذلك نرى الثقافة الفرنسية تختلف عن الثقافة الألمانية، بل نرى الثقافة البريطانية تختلف عن الثقافة الأمريكية مع اتحاد الأمتين في اللغة والآداب...))[2].

وهذا بخلاف العلم، ((فطابعه موضوعي تتحد فيه النتائج، فالماء مثلًا يتكون من ذرات الأوكسجين بالإضافة إلى ذرات من الهيدروجين ($H_2O$) وهذا في كل الثقافات))[3]، وعليه فالعلم مشترك عام بين جميع الأمم، ونتائجه واحدة، ولا تتأثر – في الجملة – بالفكر والعاطفة، ((وهو تراث إنساني عام، فلا يقال: هذا طب

(1) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. إبراهيم الريس، وآخرون، ص10.

(2) منهج الثقافة الإسلامية: العلامة محب الدين الخطيب، ص17.

(3) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. إبراهيم الريس، وآخرون، ص10.

إنجليزي، وذاك طب عراقي، وتلك كيمياء مصرية،.. لكن في مقام الثقافة نستطيع أن نقول: إن هذه ثقافة إسلامية، وتلك ثقافة هندية، وثالثة ثقافة شيوعية...))(1)، وعليه فالعلم عالمي والثقافة قومية، والعلم لا لون له، والثقافة ذات لون(2).

**وهنا ينبغي التنبيه على أمرين في غاية الأهمية وهما:**

**الأول:** يؤخذ العلم بلا قيود بخلاف الثقافة، بمعنى أنه لا حرج أن نستفيد من علوم الشرق والغرب في مجال التكنولوجيا ونحوها، أما الثقافة فلا تؤخذ إلا بشروط وضوابط، من أهمها: أن تكون الأمة قد درست ثقافتها الإسلامية واستوعبتها ووعتها وأخذت منها حصانة فكرية تحميها حال التعامل مع الثقافات الأخرى.

**والثاني:** خطأ القول بوحدة الثقافة العالمية، فهذا ينطبق على العلم الذي هو ملكٌ للبشرية جميعًا، ولا تختص به أمة دون أخرى، ولا ينطبق على الثقافة؛ ((ذلك لأن الثقافات ذاتية وخاصة ومتصلة بأممها لا تنفك عنها، وهي من أجل ذلك لا تنصهر ولا تذوب في بوتقة واحدة، ولكنها تتلاقى وتتعارف ويأخذ بعضها من البعض الآخر ما يزيده قوة، ويرفض بعضها من البعض الآخر ما يضاد وجوده أو يتعارض مع الأصول الأساسية لمقومات فكره وكيانه وذاتيته))(3).

بل إن الأمم قد تتخلف علميًا أو تضعف عسكريًا، وتبقى ثقافتها قائمة، وخير شاهد على ذلك الدولة المصرية، فقد انتابها الضعف وتتابع عليها الاحتلال الإنجليزي والفرنسي، ومع ذلك لم تفقد هويتها الإسلامية، وبقيت تحت الحكم

---

(1) ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة: د. عبد الحليم عويس، ص19.

(2) منهج الثقافة الإسلامية: العلامة محب الدين الخطيب، ص19، 20.

(3) الثقافة للأستاذ أنور الجندي، ص6، نقلًا عن: أضواء على الثقافة الإسلامية: د. نادية شريف العمري، ص18، مؤسسة الرسالة، بيروت، التاسعة 1421هـ/2001م.

الفاطمي «الشيعي» مدة طويلة من الزمان، ومع ذلك بقيت «سنية»، والأمثلة كثيرة.

**يقول د. عدنان زرزور ما ملخصه:** ((العلم التجريبي أو التطبيقي محصلة قرون طويلة وأمم شتى، والثقافة محصلة أو ممارسة أمة من الأمم،..وإذا ذكرنا أن «الثقافة» محصلة أمة بعينها، وأن «التقدم العلمي» محصلة الأمم والعصور، أدركنا معنى قول الفيلسوف الفرنسي «إدوارد هيريوت» حين قال: ((الثقافة هي ما يبقى لك بعد أن تكون قد نسيت كل شيء))!..ولقد أتى على المسلمين فترات من الضعف والتخلف، ولكن بقيت لهم «ثقافتهم» ينافحون عنها، ويدعون إليها..لا تزول بإطلاق ومصدرها قائم، ولا ينتهي دورها وتأثيرها في الحياة ما بقي المسلمون، أو ما بقيت طائفة منهم «تمثلها» وتعيش بها، وتطوِّع «سلوكها» لمقتضياتها وأحكامها))([1]).

ولستُ بذلك أبرِّر التخلف العلمي أو أهوِّن من خطره، بل أنبِّه إلى أن الأخطر من التخلف العلمي هو التخلف الفكري أو الذوبان الثقافي، ولئن كانت الأمم تحتاج إلى سنوات عدة للنهوض العلمي، فهي بحاجة إلى سنوات طويلة لاستعادة هويتها وثقافتها.

2- الثقافة تتميز بالتنوع والشمول، بينما العلم يتميز بالتخصص: وبالتالي فإن ميدان الثقافة أوسع وأعم من ميدان العلم، وهذا طبيعي؛ لأن الثقافة ليست مرتبطة بجهة واحدة كالعلوم المتخصصة المختلفة.

((إذا قرأ المثقف عن نظرية دارون في «التطور»، فليس معناه أنه أصبح عالمًا في «الأحياء»، وإذا قرأ عن مراحل خلق الجنين في رحم أمه فليس ذلك

---

(1) راجع: إنسانية الثقافة الإسلامية: د. عدنان زرزور، ص57-59، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى 1400هـ /1980م.

مجيزًا أن يمسك بمبضع الجراح أو سماعة الطبيب ليتعامل مع المرضى، وإذا قرأ الأدب وأشعار الحِكَم فلا يعتبر نفسه لغويًّا أو عروضيًّا..))[1]، وبالمثل ((قد نجد عالمًا وصل إلى أعلى درجات العلم في الكيمياء، أو الفيزياء، أو الرياضيات، ولكنه جاهل بكل العلوم الإنسانية من أدب ولغة وتاريخ واجتماع وسياسة واقتصاد وتشريع إلى غير ذلك، كما أن معارفه محدودة تمامًا، فهذا لا يمكن أن يُعدّ مثقفًا))[2].

وعبارة: ((العلم أن تعرف كل شيءٍ عن شيء، والثقافة أن تعرف شيئًا عن كل شيء)) لا تصلح تعريفًا للعلم، ولا للثقافة – كما سبق بيانه – ، لكنها جملة يرددها البعض تقريبًا لمعنى الثقافة والفرق بينها وبين العلم، وإلا فليس بمقدور أحد أن يعرف كل شيء عن شيء، فالعلوم متجددة وغزيرة التفاصيل، ولا أن يعرف شيئًا عن كل شيء، فهو أمر فوق طاقة البشر، والمقصود كثرة المعرفة وثراؤها، وليس المقصود الإحاطة التامة ﴿فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُف الدُّخَان الجَاثِيَة﴾ [يوسف: ٧٦].

((وأهم ما يميز المثقف عن المتعلم – الذي قد يكون حائزًا على أعلى شهادة في تخصصه – امتلاكه الجيد للرؤية الشاملة للمجتمع الذي يعيش فيه...، وهو إلى جانب ذلك على وعي بالتناقضات التي تحكم مسيرة ذلك المجتمع، وعلى وعيٍ بمآلات وأخطار التغيرات البطيئة التي تزحف على أفكاره وأخلاقياته

(1) المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. يسري محمد هانئ، ص40، 41 باختصار.

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. محمد رشاد سالم، ص9.

وسلوكياته..هذا الوعي الشامل هو الذي يمنح المثقف سمة الريادة في المجتمع، ويحمله مسؤولياتها في آنٍ واحد))[1].

3- وإذا كانت «الثقافة» نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، فالعلم بخلاف ذلك: الثقافة ليست معارف فقط، ولكنها موقف واتجاه وعاطفة، وأسلوب حياة، وهي علمٌ وعمل وفكر وسلوك في آنٍ واحد، أما العلم فإنه معرفة منظمة في فرع من الفروع أكثر من كونه سلوكًا، ((ولكي نفهم هذا الفرق فلا بأس أن نتصور – من ناحية فردين مختلفين في الوظيفة وفي الظروف الاجتماعية، ولكنهما ينتميان لمجتمعٍ واحد، كطبيب إنجليزي وراعٍ إنجليزي مثلًا.

ومن ناحية أخرى نتصور فردين متحدين في العمل والوظيفة، ولكنهما ينتميان إلى مجتمعين مختلفين في درجة تقدمهما وتطورهما، كطبيب صيني وطبيب إنجليزي، فالأولان يتميز سلوكهما إزاء مشكلات الحياة بتماثل معين في الرأي يتجلى فيه ما يسمى «الثقافة الإنجليزية»، بينما يختلف سلوك الآخرين أحيانًا اختلافًا عجيبًا يدل على طابع الثقافة الذي يميز كليهما عن صاحبه؛ لأنه يميز المجتمع الذي ينتمي إليه.

هذا التماثل في السلوك في الحالة الأولى، والاختلاف في السلوك في الثانية، يؤكد أن السلوك ناتج عن الثقافة لا عن التعليم، وعليه فالسلوك الاجتماعي للفرد خاضع لأشياء أعمّ من المعرفة، وأوثق صلة بالشخصية منها بجمع المعلومات، وهذه هي الثقافة))[2].

---

(1) من أجل انطلاقة حضارية شاملة: د. عبد الكريم بكار «سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة» 2/133، 134، دار القلم، دمشق، الثالثة1426هـ.

(2) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص73، 74 بتصرف يسير.

ومما سبق يتبين للقارئ أن الثقافة ليست مرادفة للعلم في معناها، وبالتالي لا ينبغي الخلط بينهما، ولا يعني هذا أن الثقافة منبتة الصلة بالعلم، كما لا يُفهم منه أن بينهما قطيعة مثلًا، فالعلم والثقافة ضروريان في حياة الأمة، ((ولقد أثبتت تجارب الحضارة الإنسانية خلال عصورها الغابرة والحاضرة، وبخاصة في العصر الذي نعيشه – حيث التقدم العلمي، والتفوق التكنولوجي – أن العلم وحده لا يكفي لإسعاد الإنسان، وترشيد سلوكه، وطمأنينة روحه، وسكينة نفسه، بل لابد مع «العلم» من تقوى، من خُلُق، من إيمان، أي لابد مع العلم من دين،.. وبهذا ندرك أن الثقافة لا تستغني عن العلم الصحيح، وأن العلم الصحيح يخدم الثقافة ويرشدها، فبهما معًا تتكون شخصية المسلم الواعد المستنير))(1).

## المبحث الثاني
## العلاقة بين الثقافة والحضارة

«الحضارة» مصطلح أشد قربًا إلى «الثقافة» من «العلم»، وأكثر تداخلًا معها، وكثيرًا ما يستخدم أحد المصطلحين «الثقافة» و«الحضارة» للتعبير عن الآخر؛ لذا لزم التوضيح.

**الحضارة في اللغة:** مصدر فعلُه حَضَرَ. يقال: حضر فلان حضارةً: أقام في الحضَر، والحضَر: المدن والقرى والريف، وهو خلاف البَدْو، وسمي بذلك لأن أهله حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، وتحضَّر فلان: تخلَّق

(1) أضواء على الثقافة الإسلامية: د. أحمد فؤاد محمود، ص17، 18، إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، الأولى 1421هـ/2000م.

بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم، والحضارة: ضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني[1].

أما التعريف الاصطلاحي للحضارة، فقد تباينت فيه آراء العلماء والباحثين، بناءً على اختلافهم في قضية العلاقة بين الثقافة والحضارة، وسبب هذا الاختلاف أمران:

**الأول:** عدم وجود تعريف اصطلاحي متفق عليه لكل من «الثقافة» و«الحضارة»، الأمر الذي أدى إلى اختلاف الباحثين في تحديد الصلة بينهما.

**والثاني:** ((أننا أمام ثلاثة مصطلحات عربية هي: «ثقافة، وحضارة، ومدنية» وُضِعَت بإزاء معاني اللفظين الأجنبيين: (Culture) و(Civilization)، ومن ثم حدث نوع من التداخل والتشابك في عملية الترجمة والنقل المفاهيمي للمصطلحين الأجنبيين بإزاء الألفاظ أو المصطلحات العربية الثلاثة، فأحيانًا تُتَرجم كلمة (Culture) إلى ثقافة، وفي هذه الحالة تترجم (Civilization) إلى حضارة، وأحيانًا أخرى تترجم (Culture) إلى حضارة، وهنا تترجم (Civilization) إلى مدنيَّة))[2].

ويستخدم الألمان والأمريكان كلمة (Culture) للدلالة على الحضارة بالمعنى الفكري الذهني، وكلمة (Civilization) للدلالة على الجوانب المادية أو التكنولوجية في الحضارة[3].

**والحاصل:** أنه لم يكن هناك إجماع بين الباحثين الغربيين على هذه الدلالات، لاسيما ((بعد أن أخذ مفهوم لفظ (Culture) – المترجم إلى العربية «ثقافة» –

---

(1) راجع: لسان العرب 196/4، والمعجم الوسيط، ص906، مادة «حضر».

(2) الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص101.

(3) راجع بتوسع: الحضارة. الثقافة. المدنية: د. نصر محمد عارف، ص41 وما بعدها.

يتطـور بحسـب اتجاهـات المـدارس المختلفـة...، وعنـدها وُضِـع معنـى هـذا اللفـظ الأجنبـي ومفهومـه بـإزاء لفظـين عـربيين غيـر متـرادفين، حيـث تُـرجم إلـى «ثقافـة» مـرة، وإلـى «حضـارة» مـرة أخـرى، وثالثـة يُتـرجم إلـى الاثنـين معًـا، فيقـال: إن (Culture) هي الثقافة والحضارة))(1).

وقد ظهر هذا اللبس والتداخل واضحًا في تعريف تايلور، فتعريفه للثقافة هو نفسه تعريفه للحضارة، ويبدو أنه يعتبرهما شيئًا واحدًا.

*** العلاقة بين الثقافة والحضارة:**

اختلفت الآراء في تحديد العلاقة بين الثقافة والحضارة: هل هما متغايران، أم أن أحدهما يشمل الآخر، أم أنهما يعبران عن الشيء نفسُه؟ وهو ما سيظهر من خلال هذه الاتجاهات الأربعة:

**الاتجـاه الأول: يـرى أصـحابُه أن المصـطلحين متغـايران، ولكـل منهمـا دلالتـه الخاصة به:**

فالثقافـة تهـتم بـالجوانـب المعنويـة، حيـث تعبـر عـن الأمـور الروحيـة والعقليـة والخلقية «السلوكية»، وتعنى بالتقدم والرقي في العلوم الإنسانية والنظريـة والفكريـة، بخلاف الحضارة فهي ألصق بالماديات، حيث تتناول جملة من مظاهر الرقي في جوانب الحياة المادية، وتعنـى بالتقدم المـادي الصـناعي، والزراعي، والعمرانـي،... وأمثال ذلك مما لا علاقة له بمسائل الفكر والسلوك.

ويبـدو هـذا الاتجـاه واضـحًا فـي كـلام العلامـة ابـن خلـدون عـن الحضـارة، فقـد وصـفها بقولـه: ((هـي تفنُّـن فـي التَّـرف وإحكـام الصـنائع المسـتعملة فـي وجوهـا ومذاهبـه مـن المطـابخ والملابـس والمبـاني والفُرُش والأبنيـة، وسـائر عوائـد المنـزل

(1) الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص97، 98 باختصار.

وأحواله...))(1)، وهكذا يحصر ابن خلدون الحضارة في الجوانب المادية من الصنائع والأبنية ونحوها من مظاهر العمران.

((وكان أول من أفشى اللفظ العربي «ثقافة» في مقابل اللفظ الأجنبي (Culture) هو سلامة موسى، وعني بها المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلمها الناس، ويتثقفون بها، ومع ذلك فهي خاصة بالذهن، وميَّز بين الثقافة – بهذا المعنى – والحضارة، على أساس أن الحضارة مادة محسوسة في آلةٍ تخترع، وبناءٍ يقام،... فالحضارة مادية، وأما الثقافة فذهنية))(2).

وتكمن خلاصة هذا الاتجاه في أمرين هما: **الأول:** أن الحضارة تختص بالتقدم المادي الخارج عن ذات الإنسان، والذي يستخدمه في رقي حياته وتطويرها، أما الثقافة فهي القيم الإنسانية التي تتصل بداخل الإنسان، **والثاني:** ((أن الثقافة ذات طابع فردي، في حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعي))(3)، والأمران بيَّنهما الراحل/علي عزت بيجوفيتش (   ) بقوله: ((هناك خلط غريب بين فكرة الثقافة وفكرة الحضارة...الثقافة هي تأثير الدين على الإنسان أو تأثير الإنسان على نفسه، بينما الحضارة هي تأثير الذكاء على الطبيعة أو العالم الخارجي..

**الثقافة معناها:** الفن الذي يكون به الإنسان إنسانًا، أما الحضارة فتعني: فن العمل والسيطرة وصناعة الأشياء صناعة دقيقة، فهي استمرار للتقدم التقني لا الروحي..حامل الثقافة هو الإنسان، وحامل الحضارة هو المجتمع..معنى الثقافة

---

(1) مقدمة ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ)، ص338، دار يعرب، دمشق، الأولى 1425هـ/2004م. تحقيق وتعليق: عبد الله محمد الدرويش.

(2) الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص98 باختصار يسير.

(3) مقدمات في الثقافة الإسلامية: د. مفرح سليمان القوسي، ص22باختصار، الرابعة 1430هـ/2009م.

القوة الذاتية التي تكتسب بالتنشئة، أما الحضارة فهي قوة على الطبيعة عن طريق العلم، فالعلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي إلى الحضارة، بينما الدين والقيم والفكر والأدب هي مكونات الثقافة..))([1]).

وبناء على ما يراه أصحاب هذا الاتجاه وأنصاره، فالثقافة والحضارة تعبران عن شيئين مختلفين، ولا تداخل بينهما.

**الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن الحضارة أعمُّ من الثقافة:**

فالحضارة تشمل داخلها الثقافة كجزء منها، وبالتالي فهي أوسع من الثقافة وأشمل، وهو ما ظهر واضحًا في كلام د. محمد محمد حسين عن المدلول الاصطلاحي لكلمة «حضارة»، فهي –كما يقول –: ((تُطلق على كل شيء ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلًا وخُلُقًا، مادةً وروحًا، دنيا ودينًا. فهي – في إطلاقها وعمومها – قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلُّب الأزمان،..وهي – في تخصيصها بجماعة من الناس أو أمة من الأمم – تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم...

والحضارة بهذا المعنى أعم من الثقافة، التي تُطلق على الجانب الروحي أو الفكري من الحضارة، بينما تشمل الحضارة الجانبين الروحي والمادي، أو الفكري والصناعي..))([2]).

---

(1) الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزت بيجوفيتش، ص94-96 باختصار شديد، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، الأولى 1414هـ/ 1994م. ترجمة: محمد يوسف عدس/ قسم الترجمة– مؤسسة بافاريا.

(2) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين، ص6باختصار، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1975م.

ويستدل أنصار هذا الاتجاه بأن الحضارة – في أصل دلالتها اللغوية – تعني الاستقرار الناشئ عن زراعة الأرض، وإذا كانت الزراعة هي سبيل أبناء المجتمع للتطور والتقدم في اكتساب العيش، ثم بناء المدن وتحصيل المعرفة،... فإن أصول المدنية الإنسانية بجوانبها المادية والمعنوية تكون إنما نشأت مع حاجة الإنسان إلى تحصيل قوته من الأرض التي سخرها الله له..

بهذا يكون معنى الحضارة – من حيث الأصل – أوسع دلالة من الثقافة؛ لأنه إذا كانت الثقافة هي نتاج المعرفة وتنمية العقول، فمن الواضح أنها لم تنشأ إلا بعد الاستقرار الذي تمثل في سكنى المدن والأمصار (1).

ويصوِّر شبنجلر عمومية الحضارة بطريقةٍ أخرى؛ إذ يعتبر أن الثقافة تمثل مرحلة من المراحل التي يمرُّ بها تاريخ أي حضارة، وهي مراحل تبدأ بالثقافة وتنتهي بالحضارة، ويمكن تلخيص هذا الاتجاه في فهم الحضارة باعتبارها الذروة المادية العلمية التقنية لتطور ثقافةٍ ما..(2)، وعليه فالثقافة – برأي شبنجلر – مجرد مرحلة من مراحل نشأة الحضارات.

ويصور البعض الآخر عمومية الحضارة بأنها بناء مادي ومعنوي، فأما المادي فيتمثل في منجزات الحضارة من معدات وأجهزة وتكنولوجيا وأبنية، وهو ما يُسمى بـ «عالم الأشياء»، والجانب المعنوي يتمثل في مفهوم «الثقافة» بأبعاده ومستوياته المتعددة، والذي يُعبَّر عنه بـ «عالم الأفكار»، ومفهوم الحضارة هو حاصل تفاعلهما (3).

---

(1) لمحات في الثقافة: عمر عودة الخطيب، ص43.

(2) راجع بتوسع: الثقافة والحضارة: أ. فؤاد السعيد، ص 55 ، 56.

(3) الثقافة والحضارة: د. فوزي خليل، ص127 وما بعدها.

بينما يعتبر آخرون أن «الثقافة» هي إحدى مكونات الحضارة، وهو ما ألمح إليه د. أحمد شلبي (  ) بقوله: ((الثقافة تعني الرقيّ في الأفكار النظرية،... والمدنيَّة هي الرقيّ في العلوم العملية التجريبية،..ومن هنا كانت الثقافة تحريرًا للإنسان وتقويمًا له، وكانت المدنية تعني سيطرته على الأشياء وخَلْق وسائل منها لإسعاده... أما الحضارة فتشمل الرقيّ في المجالين جميعا..))(1)، وكثيرٌ من الباحثين على ذلك، فهم يخصصون مدلول «الثقافة» لمظاهر الرقيّ في الجوانب النظرية، ويخصصون مفهوم «المدنية» بمظاهر الرقي المادي في العلوم الطبيعية والاختراعات ونحوها، ويعتبرون الثقافة مع المدنية مكونتين للحضارة، ومستندهم في ذلك أن مدلول الحضارة في العصر الحاضر لم يعد قاصرًا على الرقي المادي فحسب، بل يشمل المعنوي أيضًا.

وكون الحضارة أعم من الثقافة لا يمنع ارتباطهما؛ ((وهو ارتباط أو علاقة ليست قائمة على المقابلة، ولكنها قائمة على أن «الثقافة» تمثل روح «الحضارة»، أو أصلها وجوهرها، فكأن الحضارة هنا أعم من الثقافة أو بتعبير أدق: تشملها من جهة وتنطلق منها من جهة أخرى))(2).

**الاتجاه الثالث: يرى أصحابُه أن الثقافة أعم من الحضارة:**

وهو بعكس الاتجاه الثاني، حيث يرى أنصاره أن الثقافة تشمل الحضارة، وأن الحضارة تمثل الجانب الفكري والمعنوي من الثقافة، في حين تشمل المدنية الجانب المادي من الثقافة، وعليه فالثقافة أعم وأشمل من الحضارة والمدنية، ومستندهم في ذلك ((أن الثقافة تتصل بحياة الأفراد والمجتمعات بجوانبها الفكرية

---

(1) موسوعة الحضارة الإسلامية: د. أحمد شلبي 20/1، 21باختصار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، السادسة 1989م.

(2) إنسانية الثقافة: د. عدنان زرزور، ص30.

والمادية، أما الحضارة فتتصل بقدرة الفرد أو المجتمع على فهم الحياة والسيطرة عليها. لهذا فمن البعد عن الصواب أن نقول بأن الحضارة أعم من الثقافة، أو أنها تعني في دلالتها ما تعنيه الثقافة))(1).

بينما يرى آخرون من أنصار هذا الاتجاه أن ((الحضارة تقتصر على الشق المادي فقط من الثقافة، باعتبارها الكل الاجتماعي الذي يشمل ما هو روحي معنوي أخلاقي فكري، وما هو مادي أيضًا، كما نجد لدى مايكفر (2) وغيره، وعليه فإن هذا الاتجاه يعُدّ الحضارة جزءًا من الظاهرة المجتمعية الأشمل، أي الثقافة))(3).

وسواء أكانت الحضارة تمثل الجانب الفكري، أو تمثل الشق المادي، فهي – في نظرهم – جزء من ثقافة المجتمع، حيث إن الثقافة تمثل القيم والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة.

**الاتجاه الرابع: يرى أصحابه أن العلاقة بين الثقافة والحضارة هي علاقة تلازم وتكامل:**

وبالتالي لا داعي للتفرقة بينهما على نحو ما يفعل البعض بإطلاق كلمة «الثقافة» على الجانب الروحي والمعنوي، وإطلاق كلمة «الحضارة» على الجانب المادي، ومستندهم في ذلك أن ((هذا التفريق يصطدم بالواقع الملموس؛ لأن الحضارة المادية لا تنفصل عن الجانب المعنوي الذي يمثل التراث العلمي بقسميه

---

(1) دراسات في الثقافة الإسلامية: د. صالح هندي، ص16، 17.

(2) مايكفر، روبرت هاريسون (1882–1970م) عالم أمريكي اسكتلندي الأصل، يعتبر أحد كبار المفكرين الذين أسهموا في تشييد علم الاجتماع النظري وتطويره. أعلام الفكر الاجتماعي: د/ محمود أبو زيد 127/2.

(3) الثقافة والحضارة: أ. فؤاد السعيد، ص36.

النظري والعملي))(1)، وبهذا يتضح الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة، ويبدو هذا الاتجاه واضحًا في كلام د. عمر عودة الخطيب، فقد استنكر على هؤلاء الذين يعمدون إلى إيجاد فواصل بين مدلولي كلمتي «الثقافة» و«الحضارة»، وأردف قائلًا: ((من الممكن أن توصف العلاقة بين الحضارة والثقافة بأنها علاقة تلازم، ولا حرج – بسبب هذه العلاقة – من تناوب الكلمتين بحيث يقال: إن حضارة أي مجتمع أو ثقافته إنما تتمثل في القيم والمعاني والنظم التي تنطوي عليها حياته. ولنا – من ناحيةٍ أخرى – أن نقول: إن السمة التي تميز أي أمة إنما هي حضارتها أو ثقافتها. ومن هنا نرى أن التفرقة بين الحضارة والثقافة ليست أمرًا لابد منه، وذلك لأن المظاهر الحضارية المادية والمعنوية تتضافر جميعًا في إنشاء النظم الاجتماعية التي تعد «الثقافة» قلبها النابض ولبناتها الأساسية، أضف إلى ذلك أن أحدًا لا يستطيع أن يتجاهل ذلك التجاوب الملحوظ أو التفاعل الدائم بين الأمور المعنوية والمادية في المجتمع.

وإن مما يؤكد أيضًا علاقة التلازم بين الثقافة والحضارة، وتجاوب ما تدلان عليه من الناحيتين المادية والمعنوية – من غير إلحاح على الفواصل بينهما – أن الحضارة إذا كانت هي التطبيق المادي للتراث الثقافي، فهي – من ناحية أخرى – وليدة هذا التراث في البيئة التي تقوم فيها. ثم إنها كذلك المرآة التي تعكس لنا مقومات ثقافة المجتمع وخصائصها العامة))(2).

وناقش أنصار هذا الاتجاه فكرة أن الثقافة لا تشمل الجانب المادي فقالوا: صحيح أن الجانب المعرفي والفكري له أولوية على غيره، ولا يزال كثيرون إذا أطلقوا كلمة «الثقافة» يريدون بها ما يتعلق بالجانب الفكري والأدبي. ومع أولوية

(1) مبادئ الثقافة الإسلامية: د. محمد فاروق النبهان، ص13.

(2) لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص44.

جانب العلم والمعرفة، فهذا لا يجعله وحده هو الثقافة، وهو ما أكده العلامة ابن نبي بقوله: ((الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب، وإنما تضم أشياء أعم من ذلك كثيرًا، تخص أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحيةٍ أخرى))(1).

بل إن مِن أنصار هذا الاتجاه مَنْ وصل بهذا الترابط بين الكلمتين لحدّ الترادف، فاعتبرهما يعنيان الشيء نفسه، كما نجد في تعريف تايلور الشهير، وهو الاتجاه الذي ظل سائدًا لفترة طويلة في الفكر الفرنسي والألماني والأمريكي، حيث استمر استخدام مصطلح (Civilization) للدلالة على الحضارة والثقافة معًا دون تمييز(2)، وبالتالي لا إشكال في استخدام أحدهما للدلالة على معنى الآخر، فكل ثقافة حضارة، وكل حضارة ثقافة، وكل ما يرتقي بالإنسانية نظريًّا أو عمليًّا، معنويًّا أو ماديًّا، فهو ثقافة وحضارة في آنٍ واحد.

وأرى أنه ينبغي التمييز – في قضية التلازم والتكامل بين الثقافة والحضارة – بين المستوى النظري والمستوى العملي، وهي محاولة للجمع بين الآراء، فالواقع العملي يؤكد ارتباط الثقافة بالحضارة ارتباطًا وثيقًا؛ لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها وفكرها وأسلوب حياتها، فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية(3)، ولذلك دَرَجَ كثيرٌ من الباحثين على اعتبار الثقافة والحضارة وجهان لعملة واحدة، فالثقافة هي المظهر العقلي للحضارة، والحضارة هي المظهر المادي للثقافة، وقولهم هذا يصدقه الواقع وتؤكده الدراسات التطبيقية.

---

(1) مشكلة الثقافة: مالك ابن نبي، ص13.

(2) الثقافة والحضارة: أ. فؤاد السعيد، ص35، 36.

(3) راجع: لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص44 وما بعدها.

بينما على المستوى النظري وفي إطار البحث العلمي في المصطلحات، توجد فروق بين الكلمتين يصعب معها القول بالترادف، فلا بأس في مجال الدراسات النظرية من الوقوف على هذه الفروق الدقيقة وتحرير المصطلحات، ((ومع تطور المعارف وتحديد الاختصاصات الدقيقة يَقْوَى هذا الاتجاه في الفصل بين الثقافة والحضارة، لاسيما في مجال البحث المتخصص، وقد ظهرت الثقافة كعلم له ذاتيته ومجالاته ورجالاته، كما ظهرت الحضارة كذلك بمثل هذه الصورة، وصار كل منهما يُدرَّس على حدة، ويُقام لهذا قسم علمي وذاك قسم علمي آخر في الجامعات والمعاهد العلمية المتخصصة))(1).

ولذلك رأينا مِن أنصار هذا الاتجاه مَن يفرِّق بين المصطلحين إذا اجتمعا في سياقٍ واحد، فيجعل الثقافة تعبر عن الأمور المعنوية، والحضارة تدل على الجوانب المادية، وبالتالي فلا حرج في الدراسات النظرية وضبط المصطلحات من تحري الدقة لتمييز الماهيات داخل الشيء الواحد.

(1) مقدمة في الثقافة الإسلامية: د. عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام، ص22، مكتبة الرشد، السعودية 1425هـ/2004م.

# المبحث الثالث

# العلاقة بين الثقافة والمدنية

**المدنية مأخوذة في الأصل من سكنى المدن. يقال:** مَدَنَ بالمكان: أي أقام في المدينة واستقر فيها، ويقال: تمدَّن أي: عاش عيشة أهل المدن وتخلَّق بأخلاقهم، وتنعَّم بأسباب الرفاهية ووسائلها[1].

**وتطلق في الاصطلاح المعاصر على:** ((جملة المنجزات الإنسانية المادية المتراكمة لأمةٍ من الأمم أو مجتمع من المجتمعات خلال حقبة زمنية معينة، تمَّت بهدف تيسير حياة الإنسان وتسهيلها وتكميل وجوده في ضوء العقيدة السائدة في هذه الأمة أو المجتمع))[2]، وبالتالي فهي تطلق في الوقت الحاضر ويراد بها المظهر المادي من الحياة، وهو المتمثل في قيام التجمعات السكنية والإنتاجية والترفيهية وغيرها من أساليب الحياة الراقية التي تنشأ عن الاستقرار في المدن.

لم يفرق كثير من الكُتَّاب المعاصرين بين المدنية والحضارة، فقد اعتبروهما مترادفين، وبالتالي يقال في علاقة الثقافة بالمدنية ما قيل في علاقة الثقافة بالحضارة من آراء واتجاهات سبق الحديث عنها.

وهناك من فرَّق بين المدنيَّة والحضارة، وبالتالي بين الثقافة والمدنية، وهو اتجاه سائد بين العديد من المفكرين والباحثين، مفادُه أن الثقافة تطلق على الجانب المعنوي من المعارف والخبرات والعلوم والآداب، والمدنية تطلق على الجانب المادي من الوسائل التي تستخدم في رفاهية الأمة، والحضارة تشمل الجانب المعنوي والجانب المادي فهي أعم. يقول د. محمد عمارة: ((وإذا كانت «المدنية» هي تهذيب الواقع بالأشياء، فإن «الثقافة» هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار

---

(1) لسان العرب لابن منظور 402/13، والمعجم الوسيط، ص859.

(2) الثقافة الإسلامية: د. عزمي طه وآخرون، ص5، 6.

والعقائـد والقـيم والآداب والفنـون، وكلاهمـا – الثقافـة والمدنيـة – عمـران، عمـران للنفس وعمران للواقع، ولذلك مَثَّلَا شقي الحضارة التي هي «العمران»..

وبسـبب مـن تعلـق الثقافـة واختصاصـها بعمـران الـنفس الإنسـانية وتهـذيبها، تمـايزت الثقافـات بتمـايز الحضـارات، بينمـا مثلـت «المدنيـة» – غالبًـا – المشـترك الإنساني العام بين الحضارات))(1).

*** خلاصة العلاقة بين الثقافة وبين العلم والحضارة والمدنية:**

**يلخص د. عدنان زرزور تلك العلاقة بقولـه:** ((الثقافة هـي تلك المعارف التـي تتعامـل مـع «الإنسـان» ونميزهـا بـذلك عـن «العلـم» – أي العلـم التجريبـي – الـذي يتعامـل مـع الكـون أو الطبيعـة، أو الـذي موضـوعه الكـون أو الطبيعـة. ولكننـا فـي هذه الحـال لا نميزهـا عـن «الحضـارة».. بحيـث يمكننـا القـول: إن كـل حضـارة فـي التـاريخ عبَّـرت عـن نفسـها مـن خـلال ثقافـة معينـة، ونسـتطيع فـي هـذه الحـال أن نطلـق لفظ «المدنيـة» علـى الآليـة الصـماء، أو علـى مظـاهر التقـدم التقنـي والآلـي فحسـب، فيكـون الـربط فـي نهايـة المطـاف بـين الثقافـة والحضـارة مـن جهـة، وبـين العلـم التجريبـي والمدنيـة مـن وجـهٍ آخـر. والأصـل فـي جميـع ذلـك هـو الثقافـة التـي تصـوغ الإنسان..بوصـفه هـو العنصـر الفـاعل فـي جميـع مظـاهر التقـدم علـى كـل حـال. ولعل هذا هو ما قصد إليه الأستاذ المفكر مالك بن نبـي ( ) حين قـال: ((إن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضـارة، وإن كل تفكير فـي مشـكلة الحضـارة هـو فـي جـوهره تفكيـر فـي مشـكلة الثقافـة..، وبـذلك تكـون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة من القيم الثقافية المحقَّقة..ويكون مصير الإنسان رهنًا بثقافته))(2)...))(1).

(1) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص5، 6.

(2) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص100، 101.

ويقصد العلامة ابن نبي بالقيم الثقافية المحققة: المنجزات التي تتحقق نتيجةً لتطبيق أفكار معينة، وحين تتراكم هذه المنجزات لدى أمة من الأمم وفي عصرٍ من العصور يصبح لدى هذه الأمة حضارة.

**ومن خلال ما سبق أخلص إلى الآتي:**

1- لا مانع من القول بعدم التعارض الذي نادى به د. عبد الحليم عويس وغيره، حين قال: ((إننا نرجح أنه لا يوجد أدنى تعارض بين الثقافة والحضارة والمدنية؛ لأننا نعتبرها جميعًا مظهر الرقي الإنساني،..وكل ما يغذي رقيّ الحياة من روافد هو ثقافة وحضارة ومدنية))(2).

2- ولكن القول بعدم التعارض لا يعني بالضرورة ترادف هذه الألفاظ، أو القول بأنها جميعًا تُطلق على شيء واحد، فإن كانت المدنية تطلق على مظاهر التقدم التكنولوجي والآلي فحسب (وهو ما يُعبَّر عنه بالآلية الصماء)، فلا يمكن أن نطلق الحضارة على الشيء ذاته، فالحضارة أعمق من ذلك بكثير، فهي تعبر عن الأصالة والروح العميقة للمجتمع من خلال إنجازات تراكمت عبر سنين طويلة.

3- كما أنني أميل إلى التفرقة بين الثقافة والحضارة وعدم اعتبارهما شيئًا واحدًا، وذلك للتمييز بين حضارة الغرب وثقافته، والخروج من إشكالية الخلط بين الثقافة والحضارة عند المنبهرين بالغرب وبإنجازاته المادية. وهذه التفرقة لا تتنافى مع كون الثقافة والحضارة بينهما تلازم وتكامل يجعل كلًّا منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

---

(1) دراسات في الفكر الإسلامي: د. عدنان زرزور، ص21، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى 1407هـ/1986م.

(2) ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة: د. عبد الحليم عويس، ص18.

# الفصل الثالث

# علم الثقافة الإسلامية

سبق الحديث عن «الثقافة» بإطلاق، أي باعتبارها مصطلحًا عامًّا من مصطلحات العلوم الإنسانية مجردًا من الإضافة، وكما تأتي «الثقافة» منفردة، فهي قد تُضاف إلى لفظٍ يخصصها، فتأتي موصوفة بدين، كالثقافة الإسلامية، والثقافة النصرانية...، أو مذهب كالثقافة الرأسمالية والاشتراكية...إلخ. وهذا هو الغالب؛ لكي تتمايز الأمم والثقافات.

**وهي بحسب ما تضاف إليه، فإذا أضيفت إلى «الدين» كان معناها:** ((العلم الذي يبحث كليات هذا الدين في مختلف شؤون الحياة، سواء كان دينًا سماويَّ الأصل، أو نحلة، أو مذهبًا وضعيًّا))(1)، وعليه فثقافة أي دين تعني نظرته الكلية وتصوره الشامل للقضايا المتعلقة بالوجود والكون والإنسان والحياة.

**وإذا أضيفت إلى «الأمة» – أي أمة – فهي تعني:** ((مفاهيمها الأساسية التي تحرص عليها، وتعمل على ترسيخها وتعميق إدراكها في شؤونها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من أمور الحياة، وتسعى سعيًا حقيقيًّا دائبًا على أن تكون واضحة الدلالة في ذاتها، مرعية الجانب لدى أبنائها، واسعة الانتشار والتداول لدى غيرها،...إن ثقافة كل أمة هي الصورة الحية لها، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيها، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تودّ له الذيوع والانتشار..))(2).

---

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. عبد الرحمن الزنيدي، ص89.

(2) لمحات في الثقافة الإسلامية: د. عمر عودة الخطيب، ص11 وما بعدها باختصار.

إنها – بإيجاز – كما يقول يوهان فون هردر [1]: ((إن ثقافة الشعب هي دم وجوده)) ويريد بذلك أنها الدم الذي يجري في شرايين أفراده[2].

وتتشكل ثقافة كل أمة وفقًا للدين الذي يدين به أبناؤها ويتلقونه عند نشأتهم، ولعل هذا هو ما عَنَاه رسولنا الكريم (ﷺ) بقوله: **(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدَانه أو ينصِّرَانه أو يمجِّسَانه)**[3]، فالوالدان يغرسان في ولدهما فكرهما وعقيدتهما وأسلوب حياتهما، يساعدهما في ذلك الأسرة الكبيرة «العائلة» والمجتمع، والأمة.

ومن خلال ما يُعرف بـ «ثقافة الأمة» بعناصرها وخصائصها الروحية والنفسية والأدبية والقيمية واللغوية يشعر الأفراد بالانتماء ويتخلَّق لديهم الوعي بالتمايز، وهذا هو سرّ تنوع الثقافات. يقول العلامة محمود شاكر (  ): ((باطلٌ كل البطلان أن يكون في هذه الدنيا على ما هي عليه، «ثقافة» يمكن أن تكون «ثقافة عالمية»، أي ثقافة واحدة يشترك فيها البشر جميعًا ويمتزجون على اختلاف لغتهم ومِلَلِهم ونِحَلهم وأجناسهم وأوطانهم. فهذا تدليسٌ كبير، وإنما يُراد بشيوع هذه المقولة بين الناس والأمم، هدفٌ آخر يتعلق بفرض سيطرة أمة غالبة على أمم مغلوبة، لتبقى تبعًا لها، فالثقافات متعددة بتعدد الملل، متميزة بتميز المِلَل، ولكل

(1) يوهان فون هردر (1744–1803م) فيلسوف ألماني وشاعر وناقد أدبي، من الرواد التنويرين. راجع: الثقافة التفسير الأنثروبولوجي: آدم كوبر، ص276(هامش 33) ترجمة: تراجي فتحي، الكويت، عالم المعرفة (349) مارس 2008م.

(2) الحضارة: د. حسين مؤنس، ص325.

(3) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه وهل يُعرَض على الصبي الإسلام 456/1 ح رقم 1292، من حديث أبي هريرة  ومسلم في صحيحه: كتاب القدر – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين 2064/4 ح رقم 4803.

ثقافة أسلوب في التفكير والنظر والاستدلال منتزع من «الدين» الذي تدينُ به لا محالة..))([1]).

**وقد أكد على ذلك أساطين الفكر الغربي، ومن أبرزهم:** آرنست باركر الذي وصف ثقافة الأمة بأنها ((زخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عليها – بوجه عام – عقيدة دينية هي جزء من تلك الزخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة))([2])، وهنري لاوست الذي أكَّد على تمايز الأمم بالثقافة فقال: ((الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خلقي لأمةٍ ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها))([3]).

**والسؤال الآن:** لو أضيفت «الثقافة» إلى «الإسلام» فما معناها؟ وكيف نشأت؟ ومتى صارت علمًا؟ هذا ما سنعرفه في الصفحات التالية.

---

(1) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص74، 75.

(2) أضواء على الثقافة الإنسانية: د. نادية العمري، ص14.

(3) المرجع السابق، ص14.

# المبحث الأول
# تعريف الثقافة الإسلامية

سبق القول بأن كلمة «الثقافة» ذات أبعادٍ كبيرة ودلالات واسعة يضيق عن استيعابها النطاق اللغوي لأصل الكلمة، ولذلك تعدَّدت تعريفاتها. والأمر ذاته ينطبق على «الثقافة الإسلامية»، فقد تعددت تعريفاتها وتنوعت، ولا يوجد حتى الآن تعريف محدد متفق عليه، ((لذا فقد تنازعها أهل الفكر، كلٌّ يجرُّها إلى تخصصه أو إلى ما يخدم وجهة نظره، أو إلى ما يرى أن المصلحة في سوقها له،..وكانت النتيجة: غياب المفهوم المحدَّد لهذه اللفظة، وأدَّى هذا الغياب إلى تصورات كثيرة لا تنسجم مع مقام الثقافة الجليل في ميدان الفكر المعاصر))([1])، وعليه فقد تعددت اتجاهات العلماء والمفكرين في تعريفهم للثقافة الإسلامية على النحو التالي([2]):

**1- اتجاه يجعل «حياة الأمة الإسلامية» أساسًا يدور عليه التعريف:** فهو يرى أن «الثقافة الإسلامية» مصطلح يعبر عن حياة الأمة الإسلامية، وهويتها الدينية والحضارية، وقد عُرِّفت على هذا الأساس بأنها: ((معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة بصورةٍ واعيةٍ هادفةٍ))([3]).

---

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. عبد الرحمن الزنيدي، ص107، 108.

(2) راجع بتوسع:دراسات في الثقافة الإسلامية:د.رجب سعيد شهوان وآخرون،ص11،12،مكتبة الفلاح،الكويت،الثانية1401هـ/1981م.

(3) دراسات في الثقافة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر وآخرون، ص11، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى 1400هـ.

**وآفـة هـذا الاتجـاه:** أن يَبْقَى البعض بالثقافة الإسلامية في نطاق الماضي، ((فقد تصور أُناسٌ أنها عرضٌ للمنجزات الحضارية عند المسلمين في الغابر، وتمجيدٌ لتلك المنجزات،...والقائل بهذا الكلام يجعل الثقافة الإسلامية نمطًا من الدراسة التاريخية، وينظر إلى الإسلام نظرة تاريخية بعيدة عن الواقع. ومعلوم أن علم الثقافة الإسلامية يقدم الإسلام بصفته رؤية متكاملة حيَّة ينبغي أن تسود الحياة البشرية حاضرًا ومستقبلًا، وأن تنسخ ما سواها من مذهبيات وتحاصرها))[1].

**2- اتجاه يجعل «العلوم الإسلامية» أساسًا يدور عليه التعريف:** فهو يرى أن «الثقافة الإسلامية» مصطلح يعبر عن مجموع العلوم الإسلامية أو الشرعية، وقد عُرِّفت على هذا الأساس بأنها: ((معرفة مقومات الدين المنتقاة من مصادر الكتاب والسنة واجتهادات العلماء علمًا وتطبيقًا))[2]. ووفقًا لهذا الاتجاه أيضًا عرَّف البعضُ «المثقف المسلم» بأنه: ((من تزوَّد بأنواع من العلوم المتصلة بالدين الإسلامي بحيث تساعده على ترسيخ العقيدة وتعميق فهمها، وتكسبه الفهم والفطنة في الحكم على الأمور، ومجادلة المخالفين له، والظفر عليهم بالحجة والإقناع))[3].

**وإشكالية هذا الاتجاه:** تصوُّر أن «الثقافة الإسلامية» ما هي إلا تكرار للعلوم الشرعية، ومادتها لا تعدو كونها اجترارًا للمواد الدينية، والردُّ على هذا: أن الثقافة الإسلامية ((تقدم صورة كاملة تامة عن الإسلام في معالمه الأساسية وخطوطه الكبرى، يستطيع المسلم من خلالها أن يوازن بينه وبين الأديان الأخرى والمذاهب

---

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. عبد الرحمن الزنيدي، ص108 بتصرف يسير.

(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. إبراهيم الريس، وآخرون، ص12 (هامش).

(3) أضواء على الثقافة الإسلامية: د. أحمد فؤاد محمود، ص14.

الاجتماعية المستحدثة...الثقافة الإسلامية تقدم رؤية كلية تضم شتات الموضوع، وتحافظ على جميع جوانب الإسلام، وتراعى ما بينها من نسب، دون الدخول في الخلافات المذهبية أو التفاصيل الفرعية التي تُعنى بها التخصصات الشرعية المختلفة))([1])، وهذه الرؤية الكلية التي تقدمها الثقافة الإسلامية لا يمكن أن يقوم بها أيّ من العلوم الشرعية المقتصرة على دراسة الإسلام في أحد جوانبه، كما سيأتي لاحقا.

**3- اتجاه يجعل «المفاهيم والتصورات» أساسًا يدور عليه التعريف:** فهو يعرِّف «الثقافة الإسلامية» بحسب ما ترسيه من مفاهيم، وما تكوِّنه من تصورات، وما ترسخه من قيم. وقد عُرِّفت الثقافة الإسلامية على هذا الأساس بتعريفات كثيرة متقاربة لفظًا ومعنى على النحو التالي:

- وعرفها آخرون بأنها تعني: ((المفاهيم الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة))([2]).
- كما عُرِّفت بأنها: طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات حياتهم وفقًا للإسلام وتصوراته...))([3])،....والتعريفات وفقًا لهذا الاتجاه كثيرة.

والملاحظ أن هذه التعريفات تقترب كثيرًا من تعريفات الثقافة بوجهٍ عام، غير أنها تميَّزتْ بربط محاور الثقافة بالإسلام انطلاقًا منه، والتزامًا به، ورجوعًا إليه.

---

(1) نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»: أ. محمد المبارك، ص13 بتصرف، دار الفكر، بيروت، الثانية 1401هـ/1981م.

(2) محاضرات في الثقافة الإسلامية: د. أحمد محمد جمال، ص15، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، السابعة 1418هـ/1998م.

(3) دراسات في الثقافة الإسلامية: د. صالح هندي، ص19.

* **التعريف المختار**: برأيي أن التعريف الأقرب إلى حقيقة «الثقافة الإسلامية» هو تعريف د. عدنان زرزور، فقد عرفها بأنها: ((نظرة تركيبية شمولية عن الإسلام بوصفه عقيدة وشريعة ومنهج حياة، تعنى بفلسفة النظام أكثر مما تعنى بتفاصيله وأحكامه، تركز هذه النظرة الشمولية أو الجامعة على ارتباط نظام الحياة هذا، أو هذه الثقافة بعضها ببعض، بحيث تظهر «وحدة نظام الحياة»، أو وحدة الحياة السلوكية (أي الثقافية)، في الإسلام أو في المجتمع الإسلامي))[1].

تلك هي حقيقة «الثقافة الإسلامية» وماهيتها، التي تميزها عن غيرها من العلوم الشرعية، وتجعلها معبرة عن هوّية الأمة وفلسفتها ونظرتها الكلية إلى الوجود، وإلى القيم، وغيرها من كليات الإسلام، وهو ما سيأتي بيانه عند الحديث عن الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية.

*** علم الثقافة الإسلامية:**

الثقافة الإسلامية علمٌ جديد، له ملامحه ومعالمه التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية، كالحديث أو التفسير أو الفقه أو الأصول، ((وقد تحوَّل هذا المصطلح إلى علم نتيجة اتجاه العصر إلى التحديد والتخصيص في دراسة المعارف وتصنيف المعلومات، بحيث يكون لكل علم محتوى خاص به، ومحاور خاصة به))[2].

وعلم الثقافة الإسلامية له تعريفات عدة، من أبرزها وأرجحها – برأيي – أنه يعني: ((العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها))[3].

(1) دراسات في الفكر الإسلامي: د. عدنان زرزور، ص25.
(2) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. أحمد الحليبي، ص13.
(3) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص13.

▪ **والمقصود بالمنهاج الشمولي**: الكلي المترابط، فالثقافة الإسلامية تدرس منهاج الإسلام من حيث هو كل مترابط، وتخرج بذلك العلوم التي يعني كل منها بجانب من الإسلام وما يندرج تحته من جزئيات، كعلمي العقيدة والفقه.

▪ **والقيم**: هي القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها، مثل: الحق، والإحسان، والحرية،..

▪ **والنظم**: هي مجموعة التشريعات التي تحدد للإنسان منهج حياته، مثل: نظام العبادة، والنظام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي،..

▪ **والفكر**: هو عمل العقل ونتاجه.

▪ **والمراد بنقد التراث الإنساني**: فحصه وتقويمه إيجابًا وسلبًا في مجالات القيم والنظم والفكر، ومواجهة ما يخالف الإسلام فيها(1).

**وقد اكتسب هذا التعريف قوة من عدة وجوه هي:**

**1- الانتشار**: فقد اعتمده كثيرون ممن كتبوا في الثقافة الإسلامية، ومنهم: أساتذة الثقافة الإسلامية بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وأقرَّهم عليه كثيرون من المتخصصين في الثقافة الإسلامية.

**2- الأصالة**: فقد ذكر د. محمد عبد الله حياني أن أول من عرَّف الثقافة الإسلامية بهذا التعريف هو الأستاذ محمد راغب الطباخ في كتابه (الثقافة

(1) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص14-16 باختصار شديد.

الإسلامية)[1] عام (1369هـ / 1950م)، وهو من أوائل الذين كتبوا في علم الثقافة الإسلامية[2]، وعليه فالتعريف قديم (منذ ما يقارب السبعين عامًا).

**3- وضع الحدود وتحديد المعالم:** فالتعريف يضع أيدينا على منهجية واضحة لعلم الثقافة الإسلامية، ويحدد مسارات التخصص وما يندرج تحتها من موضوعاتٍ شتى، وبذلك يتم تحديد علم الثقافة الإسلامية تحديدًا علميًّا منهجيًّا من خلال تعريف واضح وجامع لهذا العلم.

---

(1) حاولت جاهدًا العثور على هذا الكتاب، غير أني لم أُوفَّق في ذلك، ومما قرأتُه في سيرة العلامة راغب الطباخ (  ) أن له مؤلفات كثيرة ما زالت مخطوطة منها: الثقافة الإسلامية – سنة 1369هـ/1949م.

(2) راجع: مدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. محمد عبد الله حياني، ص38، 39.

# المبحث الثاني
# نشأة علم الثقافة الإسلامية

يستلزم الحديث عن نشأة «علم الثقافة الإسلامية» أن نفرِّق – أولًا – بين الثقافة الإسلامية وبين الثقافة على إطلاقها، ونفرِّق – ثانيًا – بين الثقافة الإسلامية كمفهوم ومضمون وبين الثقافة الإسلامية كعلم مستقل بموضوعاته ومسائله.

فالثقافة – بوجهٍ عام – قديمة قِدَم البشرية ذاتها، فهي واقع راسخ في حياة الناس في كل زمان ومكان، نلمسها في علاقاتهم وأعرافهم وعاداتهم وتصوراتهم، والثقافة الإسلامية كمفهوم ومضمون قديمة قِدم الشريعة الإسلامية ذاتها، فهي موجودة منذ عصر الوحي والنبوة، حيث تكوَّنت أصولها، وتشكلت معالمها، وتكامل بنيانها، وتميزت بين سائر الثقافات الأخرى ملامحُها، فكانت نشأتها على يد رسول الله (ﷺ)، حيث أرسى دعائمها من خلال ما جاء به (ﷺ) من قرآن كريم وسنة مطهرة، وما انبثق عنهما من صفات خلقية وقيم اجتماعية ومقومات فكرية، انطبعت في سلوك المسلمين وأقاموا عليها حياتهم، وعلى أساسها شيدوا حضارتهم.

بينما الثقافة الإسلامية كعلم، فهي وليدٌ جديد لم يكن متداولًا لدى علماء العربية والإسلام – على اختلاف تخصصاتهم – في الزمن الماضي، ((وعدم وجود المصطلح أو شيوعه لا يعني غياب مدلوله ومفهومه، ففي حياتنا الفكرية والاجتماعية مصطلحات حديثة إلى حدٍّ ما، لكن ما تدل عليه من مفاهيم، وما تحمله من مضامين قد يسبق وجودها بمئات السنين، ومن الأمثلة على هذا: مصطلح «الاستشراق»، ومصطلح «الغزو الفكري»، ومصطلح «الحرب

النفسية»، وغيرها من المصطلحات الحديثة التسمية والإطلاق، القديمة المفهوم والمضمون))[1]، وبالتالي فعلم الثقافة الإسلامية وإن تأخر ظهوره، فهذا لا يعني أنه لم يكن له واقع في حياة الأمة الإسلامية، بل كان –كما يقول العلامة ابن نبي – : ((شيء «حاضر» دُلَّ على «وجوده» بواسطة التسمية))[2].

*** مراحل نشأة علم الثقافة الإسلامية:**

المتأمل في تاريخ هذا العلم وتطوره، يجد أنه قد مرَّ بمراحل عدة حتى تشكلت ملامحه واستبانت معالمه على النحو التالي:

**المرحلة الأولى:** ما قبل تدوين العلوم الإسلامية: وقد بدأت هذه المرحلة مع بداية الوحي، حيث كان مجيء الإسلام إيذانًا بثقافةٍ جديدة أعادت صياغة الأمة العربية من جديد، فغيَّرت كثيرًا من مفاهيمها وطبائعها ومُثُلها وقيمها وعاداتها وتصوراتها،..((نعم كان عند العرب في الجاهلية ثقافة، ولكنها لم تكن ذات معالم بينة، وكانت لديهم معارف، ولكنها كانت معارف أولية لا تؤسس على قاعدة ولا على نظرية، فهم في جمهورهم بَدْو، ليسوا أصحاب علم ولا نظر عقلي مؤسس على أسلوب علمي. ولعله من أجل ذلك شاعت عندهم «العِيَافة»، وهي التنبؤ بملاحظة حركات الطيور، يتيامنون بها ويتفاءلون إن جَرَتْ يمنة، ويتشاءمون إن جَرَتْ يَسْرة،... وكل هذا يدل على أن التسبب العقلي عندهم كان ضعيفًا، وأنهم كانوا لا يحسنون ربط المسببات بأسبابها ربطًا محكمًا، ولا يتعمقون في بحث

---

(1) مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية: د. إسماعيل علي محمد، ص28، 29 باختصار، شركة منارات، القاهرة، الأولى 2010م.

(2) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص26.

الأشـياء، ممـا جعـل حيـاتهم فطريـة سـاذجة، وتفكيـرهم متعلقًـا بظـواهر الأمـور...))(1)، هـذا فضـلًا عـن عبادتهم للأصـنام ونحوهـا مـن مظـاهر الشـرك والوثنيـة، وهـو مـا أجملـه القرآن الكريم بقولـه: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقد ظهر حجم هذا التغيير الذي أحدثه الإسلام في أمة العرب واضحًا في خطبة جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) بين يدي النجاشي والتي جاء فيها: ((أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسْن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام،... فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه))(2)، وهذه الخطبة ونحوها تدل على التغيير الشامل الذي أحدثته الثقافة الإسلامية في جميع نواحي الحياة ومناحيها، عقيدةً وشريعةً وعبادات ومعاملات وقيم وتصورات.

---

(1) العصر الجاهلي: د. شوقي ضيف، ص85 باختصار وتصرف، «سلسلة تاريخ الأدب العربي – ج1»، دار المعارف، القاهرة، الحادية عشرة، بدون تاريخ.

(2) رواه أحمد في مسنده ضمن قصة الهجرة إلى الحبشة 265/3 رقم1740، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

ولم يكن مصطلح «الثقافة الإسلامية» شائعًا في هذه المرحلة والمراحل التي تلَتْهَا ((ومع ذلك فإن تاريخ هذه الحقبة يدل على أن الثقافة العربية كانت آنئذٍ في قمة ازدهارها))(1).

ولم تكن حركة تدوين العلوم قد بدأت، وبالتالي فإن «الثقافة الإسلامية» كانت تمرُّ بمرحلة اندماج مع العلوم الإسلامية الأخرى، فهي تعمل معًا في وحدةٍ متكاملة وبشكلٍ مترابط، بعيدًا عن التخصصية التي ظهرت بعد ذلك، ومما ساعد على هذا التكامل والترابط ((أن خطاب الوحي كان شاملًا لشؤون الحياة كلها، وأسلوب القرآن الكريم يختلف عن أسلوب العلم القائم على التقسيم إلى أبواب وفصول، وتناول جانب معين والتخصص فيه،..وقد وَعَى المسلمون هذا الشمول، واعتبروه عند النظر والعلم وخطاب الآخرين برسالة الإسلام))(2).

تلك كانت مرحلة النظرة الشمولية للإسلام، والتي كانت سائدة طيلة القرن الأول الهجري، واستمر هذا الفهم الشمولي للإسلام حتى غدا سمةً أساسية من سمات منهج الثقافة الإسلامية.

**المرحلة الثانية**: مرحلة التدوين والترجمة: وفي هذه المرحلة أصبح نتاج الثقافة الإسلامية غزيرًا، حيث دُوِّنت العلوم في أواخر القرن الهجري الأول وأوائل الثاني، وما ترك السلف علمًا من علوم الشريعة إلا ألَّفوا فيه وأبدعُوا،..وظهرت بعد التدوين أسماء علوم لم تكن تعرف بهذه الأسماء من قبل، مثل: علوم الحديث أو مصطلح الحديث، وعلوم القرآن، وعلم الفقه، وعلم الأصول، إلى غير ذلك(3).

---

(1) مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص20.

(2) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص17، 18 باختصار.

(3) المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. يسري محمد هانئ، ص93 باختصار.

**وقد تزامن مع ذلك:** اتساع حركة الفتوحات الإسلامية، ودخول الكثير من أهالي البلدان المجاورة في الإسلام، الأمر الذي أدى إلى احتكاك المسلمين بغيرهم، وانفتاحهم على ثقافات أخرى، حتى أطلق البعض على هذه المرحلة: «مرحلة التفاعل الحضاري».

**وما من شك في أن هذه التطورات قد شكلت تحديات عدة للثقافة الإسلامية، منها:**

**1- تحدي ظهور التخصص العلمي:** ((فحينما اتسعت العلوم الشرعية اقتضى ذلك التخصص في علم أو أكثر – منها – للتمكن منه أصولًا وفروعًا، ولكن ذلك لم يصرف كبار العلماء عن المنهج الشمولي في دراسة الإسلام وتدريسه والتأليف فيه.. فقد كان أئمة العلم في كل وقت – حتى مع تخصص بعضهم في بعض فنون العلم – يؤسسون علمهم على علمٍ بأصول الإسلام في نظم الحياة جميعها في ترابطها الشامل))(1). والسبب في ذلك يرجع إلى أن علماء المرحلة كانوا موسوعيين، لدرجة أنهم لم يحصروا أنفسهم في هذه المرحلة في نوعٍ من هذه العلوم وينبغ فيها، فكان منهم من جمع بين التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والأدب، والتاريخ،...إلخ، أو جمع عددًا منها، كالشافعي، وابن جرير الطبري، والغزالي، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم.

**2- تحدي الذَّوَبان:** فلا ريب أن اتساع حركة الفتوحات الإسلامية، ودخول الناس في الإسلام قد أدى إلى انفتاح المسلمين على ثقافات متعددة؛ لأن هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام قد حملوا معهم ثقافات أممهم، وبالتالي فإن الاحتكاك بهم والانفتاح على ثقافاتهم يشكل تحديًا للثقافة الإسلامية ويعرضها للتلاشي والذوبان،

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: الزنيدي، ص92، 93 باختصار.

غير أن الثقافة الإسلامية – بفضل الله – كانت قادرة على استيعاب هذه الثقافات وصهرها في بوتقتها[1]، واحتفاظها بأصالتها.

**3- تحدي الترجمة:** ((فقد بدأت هذه المرحلة مع توسع المسلمين في فتوح البلدان، وما صحب ذلك من تفاعل مع الحضارات المجاورة وما لديها من تراث، بل لقد عمد المسلمون إلى استجلاب تراث أولئك الأقوام وترجمته، فنشأ بذلك تحدٍ جديد لم يكن معروفًا من قبل، اقتضى المواجهة وإظهار تميز الإسلام))[2]، وعليه فالحاجة إلى الثقافة الإسلامية كانت ماسَّة لنقد هذا التراث بعد ترجمته، وإظهار سموّ الإسلام وتفوقه على غيره من الأديان والفلسفات.

**المرحلة الثالثة:** مرحلة التجديد: فقد أتى على الأمة فتراتٌ من الضعف الذي ترك آثاره على كل شيء، وقد تجلَّت آثار هذا الضعف على الثقافة الإسلامية من خلال عدة مظاهر، من أهمها:

**1- الركود العلمي والجمود الفكري:** فقد سادت أفكار مفادها أنه: «ما ترك الأول للآخر شيئًا»، بمعنى أن ما تركه أسلافُنا من العلم لا يمكن أن يضاف إليه شيء، واكتفى علماء المرحلة بالتذييل على ما كتبه الأولون بحواشي وشروح، وخيمت على الأمة أجواءٌ من العقم العلمي ومناداة البعض بغلق باب الاجتهاد.

**2- الغلوّ في التخصص العلمي:** ((فقد طَغَى شأن التخصص، حتى أصبح العالِم في علم من العلوم يستغرق في دراسة دقائقه وتفصيلاته منصرفًا عن العلوم الأخرى))[3]، وكان من آثار هذا الغلو: ظهور الدراسات الجزئية لموضوعات

---

(1) راجع بتوسع: الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر: سارة جلوي، ص30 وما بعدها، الأولى 1419هـ.

(2) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص18.

(3) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: الزنيدي، ص93.

مختلفة كالعقائد، والعبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية والجنائية، التي أعطت كل موضوع منها اهتمامًا خاصًا وبُعْدًا علميًّا أضاع الارتباط الحيوي بينها،..ولا يختلف اثنان على أهمية التخصص، فهو يحقق التعمق في دراسة جوانب الإسلام وفهم موضوعاته، لكنه لا يُغني عن الدراسة الجامعة والنظرة المتكاملة الشاملة التي يضطلع بها علم الثقافة الإسلامية، ويحقق من خلالها الارتباط بين نظم الإسلام وشرائعه(1).

والحاصل أن ((الفكر الإسلامي مرَّ – كغيره – بفترة ركود، كما هو شأن الأمم بعد حركتها وازدهارها، وقد كان من آثار الركود على الفكر: غياب البعد الشامل، وسيادة النظرة الجزئية لدى معظم علماء تلك الفترة، بحكم الانكفاء على التخصص، وغلبة التقليد، مما دفع بالعلماء الذين أحسوا بخطورة الوضع إلى كسر طوق الركود، والتنبيه إلى ترابط العلوم الإسلامية، لأداء وظيفتها الأساس المتمثلة في بيان الحق، .. ومن أبرز هؤلاء المجددين من العلماء والدعاة: الإمام ابن تيمية الذي قام بحركته النقدية لتراث الحضارة الإسلامية بمنهج يتسم بالشمولية في العرض والنقد، ومن العلماء الذين تأثروا به: ولي الله الدهلوي، الذي اهتم بعرض الإسلام بمنهج شمولي في كتابه «حجة الله البالغة»..))(2).

لقد نبهت هذه المرحلة بتداعياتها علماءَ الأمة ودعاتها إلى ضرورة التجديد، ومقاومة حالة الركود التي كانت سائدة آنذاك، ورسَّخت لديهم أنه مهما كانت أهمية التخصص العلمي فالحاجة ملحة إلى علمٍ يُظهِر الترابط الحيوي بين تلك التخصصات، ويقدم الإسلام بصورته الشاملة التي تميزه عن غيره من الأفكار

---

(1) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. أحمد الحليبي، ص31 باختصار وتصرف.

(2) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص18، 19 باختصار.

والمذاهب وهو ما ظهر جليًّا في إنتاج أبي حامد الغزالي وابن تيمية والدهلوي وغيرهم، غير أن «علم الثقافة الإسلامية» بهذا الاسم لم يظهر بعد.

**المرحلة الرابعة:** ظهور العلم وتسميته: وقد بدأ ظهور الثقافة الإسلامية كعلم مستقل في العصر الحديث، وقد سبق هذا الظهور إرهاصات قوية دفعت دفعًا لتأسيس هذا العلم واستقلاله، فمنذ الصدام الأول بين العالم الإسلامي والعالم الأوربي إبان الحروب الصليبية، هبطت النهضة العلمية في العالم الإسلامي، ومرَّت الأمة بأطوار أربعة على النحو التالي(1):

– **الطور الأول: الانبهار بالحضارة الأوروبية:** فقد وصل هذا الانبهار عند بعض المسلمين إلى درجة التشكيك في الدين أو في صلاحية الإسلام ليكون أساسًا للنهضة مرةً أخرى، وتنادى البعض بأن الأوربيين نهضوا لأنهم تخلوا عن الدين، أو لأنهم فصلوا بين الدين والحياة. قالوا: ونحن إذا أردنا أن ننهض كما نهضوا فما علينا إلا أن نفعل كما فعلوا..

– **الطور الثاني: الدفاع والتشبث بالمواقع:** وهي أول خطوات الثقة بالنفس، بعد أن ذهبت تلك الغشاوة والانبهار المفاجئ، وثاب بعض الباحثين والمفكرين إلى نفوسهم بعد أن بُسِطت أمام أعينهم مزايا هذه الحضارة ووقفوا على طرفٍ من عيوبها ونقائصها، ليجدوا أن في الإسلام مثل تلك المزايا في حقيقة الأمر. وبعبارة موجزة: كان هذا طور البحث عن مزايا الإسلام وثقافته من خلال المزايا المبسوطة أمام الناس في الحضارة الأوروبية..، حتى أتت الحرب العالمية الأولى، التي أظهرت من عيوب هذه الحضارة وهمجيتها ما كان الناس بمعزل عن فهمه وإدراكه من قبل..

---

(1) راجع بتوسع: دراسات في الفكر الإسلامي: د. عدنان زرزور، ص32 وما بعدها.

- **الطور الثالث: ذاتية الإسلام:** وهو الطور الذي قام على عرض الإسلام عرضًا ذاتيًّا – ومن خلال مصادره الأولى – بغض النظر عن مدى موافقته لما عند الأوروبيين أو مخالفته لهم..، وهو ما عُرِف بـ «العودة إلى الأصول»، وقد قويت نزعة الذاتية هذه في الخمسينات من القرن الماضي بعد الحرب العالمية الثانية التي أسفر الصبح معها لكل ذي عينين، وطُرح بقوة شعار: «الإسلام صالح لكل زمان ومكان»..

- **الطور الرابع: التحدي بالإسلام:** وقد بدأ هذا الطور مع التراجعات الحادة في الفكر الأوربي والثقافة الأوروبية في مختلف ميادينها، في عالم الاقتصاد، وفي محيط الأسرة وشؤون المرأة، وفي فهم أبعاد النفس الإنسانية،...إلخ. وهي تراجعات تتم اليوم لصالح الثقافة الإسلامية، وتحت شعار: «لا يصلح لكل زمان ومكان إلا الإسلام»، الأمر الذي دفع العلماء والمفكرين إلى الهجوم على مواقع الحضارة الغربية والفكر الأوروبي، فكتب العقاد كتابه: «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه»، كما شهدت المرحلة كتابات أخرى، منها: كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي، وغيره.

هذا عن الأجواء التي سبقت تأسيس العلم، وفي ضوء هذا العرض التاريخي يمكن معرفة الأسباب التي دَعَت إلى ظهور علم مستقل للثقافة الإسلامية وهي[1]:

**1-** في العصر الحاضر – حينما سهل الاتصال بين الناس وتيسرت وسائل المعرفة – جهدت المذاهب الباطلة في نشر مبادئها فيما يسمى بـ «الأيديولوجيا»، أي: الأصول العامة في الوجود والكون والإنسان، ونُظُم الحياة المختلفة، فأصبح

(1) راجع الأسباب بالتفصيل في كتاب: المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. يسري محمد هانئ، ص95-97.

من السهل على الإنسان أن يأخذ تصورًا متكاملًا عن مذهبٍ ما من تلك المذاهب من خلال كتاب واحد يجمع أصوله في كل النظم(1)، أو حتى كتيبات مختصرة سهلة الوصول إلى الناس أو عبر وسائل الاتصال الحديثة، مما يحتم على المسلمين تقديم دينهم عبر مؤلف سهل يحسن عرضه بصورةٍ شاملة تقربه إلى القارئ وتقنعه به، وذلك لا يتم إلا بعلم شمولي، وهو «علم الثقافة الإسلامية».

**2**- تنامى الوعي الإسلامي المعاصر، وظهور «علم الثقافة الإسلامية» كمحاولة أولى لمغالبة الثقافة الأوروبية التي مكنت لوجودها بالاجتياح الاستعماري، ومن بعده بالأثر الثقافي الذي امتدت آثاره إلى أغلب شُعَبِ الحياة الإسلامية، حتى كادت أن تطبعها بطابعها(2)، فكانت الحاجة ماسة إلى علم جديد يقدم للأمة منهج الإسلام، وكيفية تطبيقه، ويظهر هويتها ويغير واقعها، ويضع لها الخط الصحيح في تفاعلها وتعاملاتها مع الثقافات الأخرى.

**3**- الفجوة التي حدثت في دور العلم ومعاهده في العالم العربي والإسلامي بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية، والتي فرضت أن يظهر علم الثقافة الإسلامية ليزيل هذه الفجوة، وييسر للمسلمين الانتفاع بالعلوم الإنسانية الأخرى.

**4**- ظهور فئة من المثقفين المسلمين تلقَّفوا الثقافة الغربية، وبرز في فكرهم وسلوكهم أثر هذه التبعية، حيث أخذوا يطرحون قضايا الحياة من زاوية قد تغاير الإسلام تمامًا، بل تهدم بعض أصوله بقصدٍ أو بدونه، لذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى «علم الثقافة الإسلامية» لعلاج ذلك.

**5**- انصراف كثير من طلبة العلم في بلاد المسلمين إلى التخصصات النظرية والتجريبية التي فُصِلت عن المفاهيم الشرعية، مما أضعف معرفتهم بدينهم،

---

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: الزنيدي، ص93.

(2) دراسات في قضايا الثقافة والاقتصاد الإسلامي: د.خليفة بابكر الحسن، ص7، 8.

وأصبح من الصعب عليهم أن ينقطعوا إلى تعلم العلوم الشرعية، فكان «علم الثقافة الإسلامية» هو السبيل إلى إعطائهم صورة شاملة عن الإسلام بنظمه المترابطة.

**6**- تكالب أعداء الإسلام على الأمة وتسارعهم في قذف شبهاتهم على الإسلام بوسائل متنوعة، فكان لابد من ظهور علم مستقل يرد على تلك الشبهات ويحصن الأمة أفرادًا وجماعة.

**7**- تقديم الجديد للأمة لمواكبة العصر الذي تعيشه، ومعالجة القضايا الملحة والمطروحة على الساحة العالمية، حتى لا يعيش المسلمون دون توجيه صحيح يجعلهم لقمة سائغة للأفكار الدخيلة على ثقافاتهم.

*** تدريس العلم وتسميته:**

يعود تاريخ تدريس هذا العلم إلى عام 1954م حينما أُنشِئت كلية الشريعة في جامعة دمشق «الجامعة السورية يومئذ»، وشُكِّلت لجنة لوضع خطة المناهج، واختير الأستاذ/محمد المبارك (  ) ضمن أعضاء اللجنة، فاقترح إدخال مادة «الثقافة الإسلامية» تحت مسمى «نظام الإسلام» في منهج السنة الأولى، لتعطي للطالب منذ البداية الصورة الشاملة للإسلام قبل أن يدخل في التفصيلات الجزئية لكل مادة من المواد التي تستوعب كل واحدة منها جانبًا من جوانب الإسلام، وقبلت اللجنة هذا الاقتراح وأقرَّته، ومنذ ذلك الحين قام الأستاذ/المبارك بتدريسها))(1)، وكان له فضل السبق في تدريس هذا العلم وتعميم دراسته في كثير من الجامعات العربية كما سيتضح بعد قليل.

واختيار الأستاذ المبارك لمصطلح «نظام الإسلام»؛ ((لأن كلمة «نظام» بالإفراد تفيد أن لكل دين أو مذهب طريقة أو نظامًا ينتظم به أجزاءه وأقسامه

---

(1) نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»: أ. محمد المبارك، ص24، 25 بتصرف.

ومبادئـه النظريـة والعمليـة...، وتشـعر كلمـة «نظـام» بانتظـام العقيـدة والأخـلاق والتشـريع فـي سـلك واحـد يربطهـا بـه الإسـلام نفسـه..))(1)، وللإشـارة إلـى أن المقصود من هذه الدراسة: نظام الحياة في الإسلام أو بعبارة أخرى: بيان ملامح هـذا النظـام ووحدتـه وارتبـاط أجزائـه بعضـها بـبعض، بحيث تمثـل وحـدة متكاملـة متجانسة في العقيدة والعبادة والأخلاق،...إذا تمثلها الإنسان وطوَّع سلوكه وأعماله لمقتضياتها وأحكامها ظهرت ملامح شخصيته المتميزة عن الذين يخضعون في هذا الباب لنظام حياة آخر...(2).

ويجري تدريس «الثقافة الإسلامية» في بعض الجامعات تحت مسمى «الفكر الإسلامي»، ((ولكن قد يؤخذ على هذه التسمية أنها أقرب إلى الشخصي منها إلى الموضوعي، لأن كلمة الفكر تومئ إلى المفكرين، في حين أن الثقافة تشير إلى جملة من الحقائق الموضوعية الخارجة عن هذا الإطار..))(3)، كما أن الفكر هو أحد مسارات تخصص الثقافة الإسلامية بحسب التعريف المعتمد لعلم الثقافة الإسلامية لدى العديد من الجامعات العربية والإسلامية.

واقترح البعض تسمية هذا العلم بـ «النظم الإسلامية»، وعُدِلَ عنه؛ لأن النظم الإسلامية يتم تدريسها الآن على أنها علم مستقل، فضلًا عن كونها تمثل إحدى مسارات تخصص الثقافة الإسلامية أيضًا، فهو كالمظلة التي تجمع تحتها: القيم، والنظم، والفكر.

---

(1) نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»: أ. محمد المبارك، ص24 باختصار.

(2) راجع بتوسع: دراسات في الفكر الإسلامي: د. عدنان زرزور، ص19، 20.

(3) المرجع السابق، ص24.

واقترح آخرون تسميته بـ «الحضارة الإسلامية» وعُدِل عن ذلك أيضًا للفروق العديدة بين المصطلحين، فضلا عن كون «الحضارة الإسلامية» هي أقرب إلى الدراسات التاريخية.

وعليه فقد استقر الرأي على تسميته بـ «علم الثقافة الإسلامية»، وأصبح ((علمًا إسلاميًّا مستقلًا، انضاف إلى العلوم الإسلامية، يؤدي وظيفته في بيان شمول الإسلام لشؤون الحياة، والدفاع عنه، ونقد ما سواه))([1]). يقول د. عدنان زرزور: ((ولعل هذا العنوان – الثقافة الإسلامية – أن يكون أوضح في الدلالة على مضامين المصطلح لسببين اثنين: **الأول:** ما يتمتع به مصطلح «الثقافة» من مدلول واسع وعميق كما هو معلوم. **السبب الثاني:** دلالته السلوكية أو التطبيقية، بوصف «الثقافة» نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة))([2]).

وبعد أن بدأ تدريس «الثقافة الإسلامية» بجامعة دمشق سنة 1954م، كانت جامعة الأزهر سباقة كعادتها. يقول أ. المبارك: ((وفي سنة 1961م اشتركتُ في لجان تطوير الأزهر التي وضعت خطط المناهج الجديدة لمختلف الكليات، وأُدخِلتْ كذلك هذه المادة في جميع الكليات.

ثم أتيح لي كذلك أن أشترك في تخطيط مناهج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم في كلية الشريعة بمكة المكرمة، ثم في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان، وتم إدخال هذه المادة الجديدة في هذه الجامعات))([3]).

وإدراكًا من القائمين على التعليم لأهمية مادة الثقافة الإسلامية، فقد نص ميثاق المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة «الإيسسكو» في مادته الرابعة – فقرة

---

(1) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص20.

(2) دراسات في الفكر الإسلامي: د. عدنان زرزور، ص20.

(3) نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»: أ. محمد المبارك، ص25.

(هـ) علـى: ((جعـل الثقافـة الإسـلامية محـور منـاهج التعلـيم فـي جميـع مراحلـه ومستوياته)).

**وجـاء فـي توصـيات المـؤتمر الإسـلامي الأفريقـي الأول عـام 1396هـ:** ((أن تكون مـادة الثقافـة الإسـلامية مـادة أساسية، وعلـى مستوى الجامعـات كلهـا علـى اختلاف فروعها))، وهو نفس ما قرره مجلس اتحاد الجامعات العربية في اجتماعه بالجامعة الأردنية سنة 1977م.

**وجاء في توصيات ندوة الثقافة الإسلامية، المنعقدة في ماليزيا سنة 1409هـ في المادة (23) ما يلي:** ((لابد من تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في مناهج جامعـات الـبلاد الإسـلامية كلهـا، وبمختلـف أقسـام تلـك الجامعـات، وأن تشـمل مختلف سنوات الدراسة الجامعية، والدراسات العليا فيها، كما أنه لابد من متابعة هذه الدراسات، وتطويرها بما يقتضيه الواقع الإسلامي والعالمي))([1]).

وبنـاءً عليـه فقد أفردت جامعـة الأزهـر بمصـر قسمًا علميًّا هـو «قسم الـدعوة والثقافـة الإسـلامية» فـي القـاهرة والأقـاليم، وتبعتهـا الجامعـات الإسـلامية، وأصـبح مقرر الثقافة الإسلامية مطلبًا جامعيًّا في المملكة العربية السعودية وغيرها، حيث أُدخِل المقرر على جميع الطـلاب والطالبـات فـي جميـع التخصصـات.. وظهـرت المؤلفات العلمية المتخصصـة في «علم الثقافة الإسلامية»([2])، وأتيحت الدراسات العليا في «تخصص الثقافة الإسلامية» منفردًا تارة، ومقترنًا بالدعوة الإسلامية تارة

---

(1) راجـع بتوسـع: الثقافـة الإسـلامية «تخصصًـا ومـادة وقسـمًا علميًّـا»: د. عبـد الله الطريقـي وآخرون، ص54، 55.

(2) راجـع بتوسـع: المـدخل إلـى علـم الثقافـة الإسـلامية: د. يسـري محمـد هـانئ، ص97 ومـا بعدها.

أخرى، الأمر الذي أدى إلى إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من رسائل الماجستير والدكتوراه والأبحاث العلمية في موضوعات الثقافة الإسلامية.

ومن الذين درَّسوا علم الثقافة الإسلامية: داعيةُ الشام وعالمها الشيخ/ على الطنطاوي ( )، وقد ذكر ذلك في سلسلة ذكرياته، منوِّهًا إلى أن «علم الثقافة الإسلامية» قد اعتراه – في بداية نشأته – شيءٌ من الفوضى والبعد عن التبويب أحيانًا، واختلاط مسائله بمسائل غيره من العلوم، وبقي أمدًا تعتوره الزيادة والنقصان والتعديل والتبديل، حتى استقر واتضحت معالمه، وأصبح علمًا من العلوم(1)، وهذا شأن العلوم في بداية نشأتها، حتى تنضج وتستوي على سوقها، وهو ما حدث لعلم الثقافة الإسلامية حتى تبلورت موضوعاته، واكتملت مساراته، وتميز بمنهجيته، وهو ما سأختم به دراستي في الفصل القادم بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.

---

(1) ذكريات على الطنطاوي، الجزء السابع، ص56، دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخامسة 2006م.

# الفصل الرابع
# المنهــج والمضمــون

تتجـه العلـوم فـي العصـر الحـديث إلـى التحديـد والتخصـص، بحيث يكـون لكـل علم ما يميزه عن غيره من العلوم من حيث المنهج والمضمون، حتى لا يحدث التداخل بين العلوم.

**ولما كانت «الثقافة الإسلامية» تخصصا علميا مستقلا، فهي ذات خصوصية في مضمونها، حيث تركزت في مسارات ثلاث هي:** (القيم، والنظم، والفكر)، وفـي منهجها الشـمولي الـذي تـدرس بـه هـذه المسـارات بصـفتها بنيـة مترابطـة متداخلـة، وبالتالي فعلم الثقافة الإسلامية كغيره من العلوم، لـه منهجـه الذي يميزه عن غيره من العلوم الشرعية الأخرى، ولـه موضـوعاته التي تختلف عن الموضـوعات التـي تعنى بها العلوم الأخرى، وسوف يتبين ذلك من خلال المبحثين التاليين:

## المبحث الأول
## الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية

وجملـة ما تشير إليه المعاني اللغويـة والاصطلاحية لكلمـة «المنهج» تفيد بأنـه يعنـي: الطريـق الواضـح البيِّن الـذي يسلكه الإنسـان، ويختطـه لنفسـه؛ اعتقادًا منـه بأنـه يوصـله إلـى الهـدف المرجو تحقيقـه، والأسس المنهجيـة: هـي معـالم الطريـق الـذي سـلكه العلمـاء والمتخصصـون فـي الثقافـة الإسـلامية، ورسـموا مـن خلالهـا منهجية تميز هذا العلم، حتى يؤدي دوره المنشود وهدفه المرسوم ضمن منظومة العلوم الإسلامية.

وسوف تتضح منهجية علم الثقافة الإسلامية من خلال مجموعة من الأسس هي:

**1- النظرة الشموليّة:**

**والمراد بالشمول:** التناول الكلي للموضوع باعتباره وحدة مترابطة، يُنظَر إليها باعتبار كليتها أو تركيبها، لتقديم صورة شاملة عن الموضوع المراد دراسته(1).

لقد تأسست الثقافة الإسلامية على تلك النظرة الشمولية التي تتناول الأشياء بصورتها التي تبدو بها مترابطة، بحيث تشكل بناءً عضويًّا متماسكًا، فهي ((تتناول الإسلام بوصفه منهاج حياة مترابط من جميع الجوانب العقدية والتعبدية والخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية...، وكذلك عند دراسة المذهبيات تُدرس من حيث نظرتها العامة للإنسان والكون والحياة، وما انبثق عن تلك النظرة من قيم ونظم وأفكار. وهكذا في جميع الموضوعات التي يدرسها هذا العلم))(2)، إنها تعرض الإسلام عرضًا شاملًا لجميع جوانبه، وتؤكد الترابط بين أجزائه والتداخل بين نظمه وتشريعاته، بحيث تُعطي للجميع – مسلمين وغير مسلمين – تصورًا متكاملًا عن الإسلام.

وعلم الثقافة الإسلامية يستمد هذه المنهجية من القرآن الكريم ومن السنة النبوية، فقد عرضَا الإسلام بطريقة شاملة لا تعرف الفصل بين أجزائه، حتى إن الآية الواحدة كانت تأتي مشتملة على العديد من الجوانب العقدية والتشريعية والأخلاقية و...في سياقٍ واحد ووحدة موضوعية. اقرأ مثلا قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ

(1) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص21.

(2) المرجع السابق، ص21.

﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة].

ظل المسلمون يتلقون تعاليم الإسلام من مصادره الأصلية وفقًا لهذه المنهجية إلى أن جاء عصر تدوين العلوم، وكان من آثاره: ظهور التخصصات العلمية، ورغم الأهمية الكبيرة للتخصص في دراسة العلوم الإسلامية، فهو لا يُغني عن الرؤية الكلية والنظرة الشمولية للإسلام، تلك التي يضطلع بها علم الثقافة الإسلامية، لاسيما في العصور المتأخرة، وذلك للأسباب التالية:

**أولًا: ندرة العلماء الموسوعيين في زماننا:** فالعلوم الشرعية – وإن كان كل علم منها يمثل تخصصًا علميًّا مستقلًّا– فهي ذات تلازم؛ لأن الشريعة التي قامت لخدمتها لا تتجزأ، وعليه فلابد للمتخصص في أي علم منها أن يكون على معرفة كلية بهذه العلوم، بحيث يكون متمكنًا من كليات العلوم الشرعية وتفصيلاتها جميعًا، وهذا وإن كان ممكنًا بل متحققًا للصحابة والأئمة السابقين من بعدهم، إلا أنه أصبح صعبًا بعد توسع العلوم وكثرة تفريعاتها، وتشعُّب مناهجها، وإن تحقَّق شيءٌ من ذلك فلقلة من فحول العلماء معدودين من ذوي الملكات الشمولية والموسوعية. الأمر الذي يحتم ضرورة وجود متخصص يبحث الكليات في نظم الإسلام وترابطها..(1).

**ثانيًا: الانكفاء على التخصص والانهماك في جزئياته:** ففي العصور المتأخرة طغى شأن التخصص العلمي، وانصرف جُلُّ المتخصصين في العلوم الشرعية إلى تخصصاتهم، تدريسًا وقراءةً وتأليفًا ومعالجةً لدقائق التخصص وتفصيلاته

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية للزنيدي، ص100، 101 باختصار وتصرف.

وخلافاته، بحيث يستغرق فكرهُ هذا التخصص، بعيدًا عن التخصصات الشرعية الأخرى من جهة، ومنعزلًا عن واقع الحياة العملي انعزالًا فكريًّا من جهة أخرى، ومن ثم يغفل عن رعاية الجانب الكلي وعن الارتباط الحيوي بين كليات النظم الشرعية، الأمر الذي يحتم وجود متخصص يبحث هذا الارتباط الحيوي وفق منهج الثقافة الإسلامية الكلي والعملي..([1]).

ويكون مثال هذا المتخصص كالفيلسوف بين علماء الطبيعة؛ إذ لكل علم مجاله الخاص منهجًا وموضوعًا، فالرياضيات مجالها الكم، والطبيعيات مجالها الحركة، وعلم النفس مجاله الظواهر النفسية والسلوك،... إلخ. والفيلسوف هو الذي يدرس موضوعات هذه العلوم في نظرة جامعة، ويعمل على الجمع بين عمومياتها، لينتج فلسفةً موحدة، ولهذا أسماه «أوجست كونت»: ((ضابط الاتصال بين مختلف العلوم))([2]).

**ثالثًا: خطورة الانفصال بين جوانب الإسلام:** فهو يؤدي إلى ما أسماه أستاذنا/ المبارك (  ) بـ «تجزئة النفسية والعقلية الإسلامية» قاصدا بذلك: دراسة جوانب الإسلام المتعددة – التي كانت تؤلف في عهد الرسالة وحدة متماسكة لا تنفصل – منعزلًا بعضها عن بعض، فدراسة الجانب العملي – سواء أكان في مجال العبادة أم العلاقات الاجتماعية (المعاملات) – تولاه الفقهاء، ودراسة الجانب الاعتقادي تولاه المتكلمون وعلماء العقيدة، وتولى أهل التصوف والأخلاق الجانب النفسي الأخلاقي، وكل فئة من هذه الفئات أعطت عن الإسلام صورة الجانب الذي تولت درسه وبحثه، فضاع بذلك الارتباط الحيوي والتأثير المتبادل بين هذه الجوانب،..

---

(1) المثقف العربي: د. الزنيدي، ص21، وراجع له أيضًا: مدخل إلى علم الثقافة، ص100.

(2) المعرفة: د. محمد فتحي الشنقيطي، ص19، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الخامسة 1981م.

وهكذا تبدو لنا شدة الحاجة إلى صورة عن الإسلام شاملة لجميع جوانبه وأجزائه مع ترابطها..

ولا يغني عن هذه الصورة الجامعة، والنظرة العامة الشاملة، دراسة الأجزاء منفصلة، كدراسة الفقه وحده معزولًا عن العقيدة والأخلاق، ودراسة علم الكلام لتعليم العقيدة؛ لأن هذه الدراسة المنفصلة لا ترى جوانب الارتباط بين هذه الأقسام، ولا التأثير المتبادل بينها. فللنظام الاقتصادي في الإسلام مثلًا أساس اعتقادي ينبثق عنه، وأساس أخلاقي يرتكز إليه، كما أن للعقيدة نتائج اقتصادية، وهكذا بقية الأقسام والأجزاء[1].

**والخلاصة:** أن هذه المنهجية الكلية والطابع الشمولي هي التي تميز الثقافة الإسلامية عن سائر العلوم الشرعية، التي يتم عرضها – في أغلب الأحوال – في صورة تخصيصية مجزأة، وهي صورة وإن امتازت بالثراء والعمق، وكانت صالحة للمسلمين في عصور تقدمهم وازدهارهم، إلا أنها غير كافية في عصرنا الحالي، ما لم تصحبها نظرة كلية شاملة تجمع شتات هذه العلوم، وتجلِّي رُوحها، وتبرز نسقها وفلسفتها ووحدة رؤياها، وتستخلص من مجموعها رؤية الإسلام وفلسفته وتصوره لكافة القضايا التي تشغل الإنسانية في حاضرها ومستقبلها.

**2- التأصيل:**

ويُراد به: الانطلاق من التصور الإسلامي في الفهم والتنظير الفكري والعلمي والنقد، واتباع المنهج الشرعي في الاستنباط والاستدلال، والإفادة من التراث الإسلامي[2].

---

(1) راجع بتوسع: نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»: أ. محمد المبارك، ص21 وما بعدها.

(2) الثقافة الإسلامية «تخصصًا ومادة وقسمًا علميًّا»: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص21، 22.

**والمقصود باتباع المنهج الشرعي:** الاعتماد في بناء الرؤية الإسلامية لأي قضية من القضايا المطروحة على القرآن والسنة وفهم سلف الأمة وعلمائها، دون تأثرٍ في ذلك بأصول الفلسفات والمذاهب الأخرى، أو انهزام أمام شبهات أعداء الإسلام.

وتقتضي منهجية «التأصيل» أن نعرض الإسلام من خلال مصادره الأصلية، بأسلوب موضوعي لا يعتمد على إثارة عواطف المسلمين وحدهم، بل يخاطب أبناء هذا العصر جميعًا بطريقةٍ علمية، تُعنى برد كل قضية إلى الأصل، والاستدلال عليها بالبرهان الساطع والدليل القاطع والحجة الملزمة، دون دخول في التفصيلات والخلافيات التي يتم بحثها ودراستها في التخصصات الشرعية الأخرى.

ولكي تتحقق هذه المنهجية ((يجب تجنب تأويل النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية رغبةً في التوفيق بينها وبين النظريات والفلسفات الحديثة، والاكتفاء بمعرفة الموقف الحقيقي للإسلام، ذلك أن للإسلام ذاتية مستقلّة يجب أن تُعرض وتجلى حتى تعرف أصالتها))(1).

إن أصالة الثقافة الإسلامية – برأيي – إنما هي ثمرة من ثمرات تلك المنهجية التي أكسبت «الثقافة الإسلامية» قوةً ورسوخًا، وجعلها في ذات الوقت تنطلق نحو المعاصرة بخطًى ثابتة، فهي ﴿المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥]. يقول د. عبد الحليم عويس (  ): ((لا مراء في أن أصول الثقافة الإسلامية وركائز تصورها ثابتة؛ لأنها حقائق كلية كبرى وضعها الخالق (سبحانه وتعالى) صالحةً لكل زمان ومكان، وقادرة على قيادة كل مراحل التاريخ، لكن

---

(1) نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»: أ. محمد المبارك، ص5، 6.

هذه الأسس وهذه الركائز تتفرع عنها قضايا معاشية أو تطبيقية سلوكية في مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة، وبالتالي فإن على الثقافة الإسلامية أن تُعِدّ من الوسائل المعاصرة ما يمكن من تطبيق هذه الأصول الكلية الإسلامية، وبالتحديد تلتزم الثقافة الإسلامية بتطوير حركة الفكر الإسلامي، بحيث يتمكن العقل الإسلامي من تطبيق النظم الإسلامية في مجالات الحياة المختلفة اقتصادية واجتماعية وسياسية))(1).

ومنهجية «التأصيل» لا تعني أبدًا وصف الثقافة الإسلامية بالجمود أو التحجر، فالتأصيل هو درع الحماية للثقافة الإسلامية الذي يحافظ عليها من التلاشي أو الذوبان أمام الثقافات الأخرى، حتى تبقى ثقافة قوية تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

**3- النقد العلمي:**

يُقصد بالنقد: فن تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده(2)، والمراد به هنا: بيان الجوانب الجيدة والمتوافقة مع الإسلام في الفكر الإنساني، وتوضيح جوانب النقص والقصور والانحراف التي تكشف عن حاجته إلى هداية الوحي(3)، وهي منهجية تعبر عن موضوعية علم الثقافة الإسلامية، فهو يتعامل مع التراث البشري والفكر الإنساني بعين الناقد البصير، ويبين ما فيه من فسادٍ ينبغي تركه، وصحيح لا بأس بأخذه والانتفاع به.

---

(1) راجع: ثقافة المسلم: د. عبدالحليم عويس، ص24.

(2) المعجم الوسيط، ص944.

(3) الثقافة الإسلامية: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص22.

إن اعتزاز المسلم بثقافته، ورفضه الذوبان في الآخرين لا يعني الانغلاق، بقدر ما يعني الانفتاح المنضبط، والاستفادة من كل أحد بما لا يتعارض مع الفكر الإسلامي الأصيل.

((وتستهدف الثقافة الإسلامية من هذا المنهج في العصر الحاضر – الذي تتنافس فيه المذهبيات وتتصارع فيه الأفكار – أمرين:

**الأول:** إظهار الملامح المشرقة لوجه الأمة الإسلامية، ومحو الأصباغ الأجنبية عنه؛ لكي تظهر الأمة في شخصيتها الحقيقية المتميزة.

**الثاني:** دحض كل ريبة أو شبهة يثيرها خصوم الإسلام للانتقاص من علوّ النظام الإسلامي على كل نظم الحياة الأخرى، والكشف عن تفوق الإسلام على المذاهب المادية المعاصرة من خلال نقدها))([1])، وفي سبيل ذلك ينبغي للمثقف المسلم أن يتعامل مع الفكر الإنساني بعقلية النقد التي لا تقبل الأمور على عواهنها دون بحث ولا تمحيص، فيَزِنُ ما يقرأ أو يطالع بميزان الشريعة الإسلامية، ويُعمل العقل في ضوء النقل، وبالتالي يقبل ما لا يتعارض مع النقل ولا يرفضه العقل، ويردّ ما سواه.

لقد عاب ابن خلدون ( ) على بعض المؤرخين والمفسِّرين وأئمة النقل جمعهم للغث والسمين من الوقائع والمعلومات دون عرضها على القواعد، وردِّها إلى الأصول، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار – بحسب تعبيره([2])..، وتلك هي أدوات النقد العلمي التي يلزم المثقف الأخذ بها ليتحصن فكريًّا من الشطح والخيال والأفكار الفاسدة.

---

(1) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. أحمد الحليبي، ص40.

(2) راجع: مقدمة ابن خلدون، ص92 بتصرف.

ويطبق ابن خلدون هذه المنهجية على بعض ما ذكره المؤرخ المسعودي (ت 345هـ) فيقول: ((وكثيرٌ ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتُؤثَر عنهم، كما نقله المسعودي عن الإسكندر لما صدَّته دوابُّ البحر عن بناء الإسكندرية، وكيف اتخذ صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قاع البحر، حتى صوَّر تلك الدوابّ الشيطانية التي رآها، وعمل تماثيلها من أجساد معدنية، ونصبها حِذاء البنيان، ففرَّت تلك الدواب حين خرجَتْ وعايَنَتْها، وتمَّ له بناؤها...([1]) في حكايةٍ طويلةٍ من أحاديث خرافة مستحيلة من قِبَل اتخاذه التابوت الزجاجي، ومصادمة البحر وأمواجه، ومن قِبَل أن الملوك لا تَحْمِل أنفسها على مثل هذا الغَرَر، ولا يعرِّضون أنفسهم للهلكة..، ومن قِبَل أن الجن لا يُعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها، إنما هي قادرة على التشكُّل..، وهذه كلها قادحة في تلك الحكاية..))([2])، وراح العلامة ابن خلدون يفنِّد ما ذكره المسعوديّ، ويُعمل فيه منهجية النقد ((مبينًا بالأدلة العملية والعلمية عدم صحتها، فكأنه بهذا النقد أزاح عن كاهل الثقافة الإسلامية هذا العبث وذاك الخيال الرديء، وحاول حمايتها من الزيف والشطح والخيال الجامح المعاكس لسنن الله في الكون..))([3])، وعليه فالحاجة ماسة في عصرنا الحالي لتنقية التراث الإسلامي والانفتاح على الفكر الإنساني بعقلية النقد العلمي الموضوعي الذي يميز بين الجيد والرديء، ويعرف ما يَدَع ويترك، وما يأخذ وينتفع.

**4- المقارنة:**

---

(1) راجع: مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن بن علي المسعودي 278/1 وما بعدها، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى 1425هـ/2005م. عناية: كمال حسن مرعي.

(2) مقدمة ابن خلدون، ص126، 127باختصار.

(3) المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية: د. يسري محمد هانئ، ص183، 184 باختصار.

وهي الأساس المكمل للأساس السابق، فإذا كان النقد يبين الجوانب الإيجابية والسلبية، فالمقارنة تكشف عن كمال الإسلام وفضله، وضرورته لحياة البشر (1)، لا سيما والصراع في هذا العصر صراع فكري بين الإسلام والمذاهب الأخرى، فالمقارنة حتمية لعدة أسباب، منها:

**أولًا:** عرض قضايا الإسلام لإبراز كفايته الثقافية، والكشف عن كماله وسموه وقدرته على تحقيق إنسانية الإنسان بكل أبعادها، دون التضحية بروحه لصالح جسده، أو بآخرته لصالح دنياه، ومقارنة ذلك بعرض المبادئ المخالفة على حقيقتها، وتُحقق الثقافة الإسلامية من هذه المقارنة: تجلية أصالة الإسلام، ونضج مبادئه، وتكامل تشريعه، وحيوية قضاياه، وواقعية قيمه، ووفائه الكامل لحاجات الإنسان ورسالته في الحياة، وهي أيضًا تجني من المقارنة: الوعي بحقيقة قضايا الثقافة المطروحة، وتفوق قضايا الثقافة الإسلامية على غيرها من قضايا الثقافات الأخرى(2).

**ثانيًا:** بيان بطلان الثقافات المناوئة للإسلام، خاصة أن الاختلاف بينها وبين الإسلام عظيم جدًا، وهو خلافٌ في الأصول، فمثلًا:

- الإيمان بعالم الغيب أساس الإسلام، وهو منكر الاعتبار في الثقافة المادية..
- الوحي مصدر المعرفة اليقينية في الإسلام، ولا اعتبار له في تلك الثقافات بصفته مصدرًا للمعرفة.
- الإسلام يقوم على حقائق ثابتة في العقيدة والأخلاق، وفي تلك الثقافات جميع الأشياء متطورة حتى العقيدة والأخلاق.

---

(1) الثقافة الإسلامية: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص22.

(2) الإسلام والتغيير الثقافي: أحمد إبراهيم، بحث منشور بمجلة أضواء الشريعة، العدد (13)، سنة 1402هـ، ص406، 407.

- المشرِّع في الإسلام هو الله جل وعلا، وحق التشريع في تلك الثقافات للبشر..
- الربا حرام في الإسلام، وهو الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد في تلك الثقافات.
- التضامن الأخوي أساس المجتمع في الإسلام، وفي غيره تقوم العلاقات على القومية، والعرقية، والتفرقة العنصرية[1].

وهذه المنهجية تحتم على الداعية – خطيبًا كان أو محاضرًا أو كاتبًا – وهو يعرض قضايا الإسلام ألا يغفل مقارنتها ومقابلتها بما في الثقافات الأخرى، فمن شأن هذه المقارنة أن تبرز وتجلي جمال الإسلام وكماله وتميزه عن غيره من المذاهب والثقافات الأخرى، ((وبضدها تتميز الأشياء))[2]، ومن شأن هذه المقارنة أيضًا أن تبرز نقاط الالتقاء بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، الأمر الذي يمهِّد لحوار بنَّاء يبدأ بطرح نقاط الالتقاء قبل نقاط الاختلاف، وهو منهج قرآني فريد. قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴾ ﴿ بسم الله ﴾ [العنكبوت].

**أهمية الأسس المنهجية للمتخصص في علم الثقافة الإسلامية:**

يتبين مما سبق أن المتخصص في الثقافة الإسلامية – تأليفًا وتدريسًا – بحاجة ماسة إلى استيعاب هذه الأسس المنهجية؛ لأن فقدان هذه الأسس أو الجهل بها قد يحوِّل هذا التخصص إلى نوع من الدراسة التاريخية، أو المعلومات العامة المفككة

---

(1) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية للزنيدي، ص 99 باختصار.

(2) العبارة شطر بيتٍ من الشعر يُنسب للشاعر المتنبي.

والمتفرقة، والمعارف المتنوعة المنفصلة ، وهذا بلا شك يخالف طبيعة هذا التخصص.

**وتظهر أهمية الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية من عدة أوجه هي:**

**1**- عرض الإسلام على حقيقته عرضًا شاملًا واضحًا، بحيث تبدو جميع معالمه متناسبة الأجزاء، حيث يحرص مثقفوا المسلمين ومفكروهم – من خلال هذه المنهجية – على إعطاء المتلقي صورة شاملة عن الإسلام قبل أن يدخل في التفصيلات، وعليه فإن علم الثقافة الإسلامية لا يبحث في التوحيد، أو الفقه، أو التفسير، أو الحديث، أو غيرها من العلوم الإسلامية كعلوم قائمة بذاتها، ولكنه يستفيد من هذه العلوم جميعًا للتعرف على حقيقة الإسلام، وروح الثقافة والحضارة الإسلامية، وطبيعة هذا الدين المتميزة(1).

**2**- تأصيل المفاهيم المتعلقة بالإسلام وبيان معانيها الصحيحة، وردّ المفاهيم الخاطئة التي راجت في عصور التخلف أو دخلت على المسلمين من أديان ومذاهب أخرى(2)، الأمر الذي يستلزم الاعتماد على النصوص الشرعية لتأصيل موضوعات هذا التخصص، حتى يكون المتلقي على بينة ووعي علمي صحيح بحقيقة الإسلام.

**3**- دحض المفتريات ودفع الشبهات التي تثار حول الإسلام من المذاهب المناوئة له، وذلك بأسلوب النقد العلمي الذي يتسم بالهدوء والموضوعية، بعيدا عن السفسطة والصراخ ونحوها من الأمور التي تضرُّ أكثر مما تنفع. وما من

(1) معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، ص7، 8 باختصار، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى 1412هـ/2001م.

(2) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية للزنيدي، ص 12.

شك في أن الالتزام بهذه المنهجية ((يمنح المسلم مناعة وحصانة كاملتين تجاه جميع الأفكار والعقائد والاتجاهات الدخيلة والمغايرة))(1).

**4**- تصحيح الفكرة الخاطئة التي أشاعها خصوم الإسلام في نسبة انحطاط المسلمين إلى تمسكهم بالإسلام، وبيان أن العكس هو الصحيح، وأن تخلف الشعوب التي تؤمن بالإسلام كان بسبب تخليهم عن مبادئ هذا الدين القويم وتطبيقها تطبيقًا واعيًا سليماً في حياتهم الفردية والاجتماعية، وإثبات ذلك ببيان نجاح مبادئ الإسلام في تحقيق السعادة مقارنًا بالإخفاق الذي يحيق بالمذاهب البشرية(2) تاريخيًّا وواقعيًّا.

**5**- حاجة الدعاة إلى هذه المنهجية في تجديد الخطاب الدعوي، وتصحيح الصورة الذهنية عن الإسلام، دون الدخول في التفاصيل التخصصية أو الخلافات المذهبية التي لا تناسب العصر.

**يقول أستاذنا/ المبارك ( )**: ((علينا نحن المسلمين أن نقدم الإسلام للناس ليعرفوه ويدرسوه، وليتأملوا طريقته في معالجة مشكلة الإنسان الكبرى وما دونها من مشكلات تتفرع عنها؛ لعلهم يجدون فيه حلًّا لأزمتهم..

ومن الغريب العجيب أنك لو أردت أن تعرِّف مستعلمًا عن الإسلام يرغب في أن يأخذ صورة كاملة تامة عن الإسلام في معالمه الأساسية وخطوطه الكبرى ليستطيع أن يوازن بينه وبين الأديان الأخرى والمذاهب الاجتماعية المستحدثة لأعياك أن تجد كتابًا موجزًا جيدًا يضم شتات الموضوع، ويحافظ على جميع جوانب الإسلام، ويراعي ما بينها من نَسَب دون الدخول في الخلافات المذهبية ولا

(1) معالم الثقافة الإسلامية: د. عبد الكريم عثمان، ص9.

(2) مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية للزنيدي، ص 102، وراجع أيضًا: معالم الثقافة الإسلامية لعبد الكريم عثمان، ص9.

إقحام الآراء الشخصية، على غرار تلك الكتب التي تزخر بها مكتبات الغرب في عرض كل دين أو مذهب، في كتابٍ كبيرٍ أو صغير، يعطيك صورة تامة شاملة عن ذلك الدين أو المذهب..

إن هذه الصورة الشاملة هي التي تُعرِّف بالإسلام تعريفًا صحيحًا، وتميزه عن غيره من المذاهب والنظم ولو التقت معه في جزئيات..، وبهذا نكون قد عرضنا الإسلام كله على أنه نظام كامل للحياة، وعرفنا هيكله العام، وتميز لنا بوضوح من سائر الأنظمة الأخرى، وحينئذ يمكن للإنسان – أيًّا كان دينه أو جنسه – أن يتصور الحضارة القائمة على أساسه كيف تكون، ويعرف مدى صلاحيتها للبقاء والاستمرار، ويوازن بينها وبين غيرها، فيعرف مزاياها الخاصة بالنسبة إلى غيرها ليحدد موقفه منها))[1].

وما من شك في أن عرض الإسلام بهذه المنهجية كفيل بأن يصحح الصورة الذهنية عن الإسلام لدى الغرب والشرق، فضلا عن كونها تناسب الجميع، مسلمين وغير مسلمين.

---

(1) راجع بتوسع: نظام الإسلام للمبارك، ص13 وما بعدها.

# المبحث الثاني
# موضوعات علم الثقافة الإسلامية

لكل أمة ثقافتها التي تعكس هويتها، وتعبر عن قيمها، ولذلك فالثقافة ذات خصوصية، لاسيما بعد أن أصبحت علمًا مستقلًا يتميز بمنهجه ومضمونه، وكما يتميز «علم الثقافة الإسلامية» بمنهجيته، فهو يتميز بموضوعاته ومحتواه عن سائر العلوم الأخرى.

ووفقًا لتعريف الثقافة الإسلامية بأنها: ((العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر،..))، وهو التعريف الذي ارتضاه كثيرون من ذوي التخصص، فإن «علم الثقافة الإسلامية» له ثلاثة مسارات أساسية، تندرج تحتها محاور وموضوعات التخصص.

**المسارات الأساسية لعلم الثقافة الإسلامية:**

لا يتسع المقام للتفصيل في تلك المسارات، ولذا سأكتفي بالإشارة إليها على النحو التالي:

**أولا:** مسار القيم: ويندرج تحت هذا المسار محاور وموضوعات كثيرة، منها:

1- مفهوم القيم وأهميتها في حياة البشر.

2- مصادر القيم.

3- أنواع القيم(1): ولها تصنيفات عديدة من أشهرها:

**(أ) القيم العليا:** (الحق – العبودية – العدل – الإحسان – الحكمة..).

**(ب) القيم الحضارية:** (الاستخلاف – المسؤولية – الحرية – المساواة – العمل – القوة – الأمن– السلام – الجمال..).

---

(1) راجع: الثقافة الإسلامية: د. عبد الله الطريقي وآخرون، ص41، 42.

(ج) القيم الأخلاقية: (الصدق – البر – الأمانة – الأخوة – التعاون – الوفاء – الصبر – الشكر – الحياء – النصح – الرحمة..).

**4- القيم في الإسلام:** ( معيارها، وخصائصها، وأثرها في الحضارة الإسلامية، ومدارسها).

**5- القيم في الفكر الغربي:** (معيارها، وخصائصها، وأثرها..، ومدارسها).

**ثانيًا**: مسار النظم: ويندرج تحت هذا المسار محاور وموضوعات كثيرة، منها:

**1- مفهوم النظم، وأهميتها في حياة البشر.**

**2- النظم الإسلامية:** (مفهومها، ومصادرها، وخصائصها، وآثار تطبيقها..).

**3- أنواع النظم الإسلامية:** (نظام العبادات – النظام التربوي – النظام الاجتماعي – النظام الاقتصادي – النظام السياسي – النظام القضائي – النظام التشريعي – النظام الإداري)، وغيرها من النظم الإسلامية، ((وهذه النظم يبحثها علم الثقافة من حيث: مصادرها، وأسسها، وخصائصها، وأهدافها، وآثارها، ووسائلها الكبرى،..أما تفصيلات كل نظام ودقائقه فمن شأن المتخصصين في هذه النظم))([1]).

**ثالثًا**: مسار الفكر: ويندرج تحت هذا المسار محاور وموضوعات كثيرة، منها:

**1- مفهوم الفكر، ومظاهر عناية الإسلام به.**

**2- الفكر الإسلامي:** (مفهومه، ومقوماته، وخصائصه، ومعوقاته، ومنطلقاته..).

3- قضايا الفكر: وهي من حيث متعلقاتها أربعة أقسام([2]):

**القسم الأول**: القضايا العامة: (الوجود – التطور – السببية).

---

(1) المدخل للزنيدي، ص 97.

(2) راجع: الثقافة الإسلامية للطريقي، ص43- 45.

**القسم الثاني**: القضايا الإنسانية: (التدين – الهوية – العالمية..إلخ).

**القسم الثالث**: القضايا الحضارية: ( التراث – النهضة – التجديد...إلخ).

**القسم الرابع**: القضايا العلمية: (المعرفة – المنهجية – العقلانية – الأصالة – ..إلخ).

**4- القوى المعادية للإسلام وأهله:** حيث يبحث هذا العلم شبهها حول الإسلام ومناهجها في محاربته، ودوافع تلك الحرب وآثارها، من أجل ردّ الشبه ومواجهة تلك الحرب، وكشف حقائق تلك القوى وضررها على الإسلام وأهله، وسبل وقايتهم منها، ومن هذه القوى: (الاستشراق، والتنصير، والماسونية، والصهيونية).

**5- المذاهب والنظريات الحديثة:** لبيان ما يتفق منها مع الإسلام أو يختلف، ونقد مبادئها الفاسدة، وبيان إخفاقها في الواقع البشري، ومنها: (التطورية، والعلمانية، والوجودية، والرأسمالية، والاشتراكية،...إلخ)[1].

**والملاحظ أن بعض هذه المحاور قد صار علمًا مستقلًا بذاته، فقد انبثق عن مسار القيم**: علم الأخلاق ونحوه، وانبثق عن مسار النظم عدة علوم منها: علم النظام الاقتصادي، وعلم النظام الاجتماعي، وعلم النظام السياسي،...إلخ. ولا إشكال في أن تندرج هذه العلوم وتلك المسارات تحت مظلة تخصص الثقافة الإسلامية الجامع لها، وفي الوقت ذاته يتم التعامل معها على أنها علوم مستقلة تتناول جانباً من جوانب الثقافة الإسلامية.

## ضوابط البحث والتأليف في موضوعات الثقافة الإسلامية:

سبق الحديث عن الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية، والمطلوب أن يتم تناول قضايا الثقافة الإسلامية وموضوعاتها وفقًا لتلك المنهجية التي تضفي على

---

(1) راجع: المدخل للزنيدي، ص 98.

علم الثقافة الإسلامية استقلالًا وخصوصية. الأمر الذي يستلزم مراعاة بعض الضوابط على النحو التالي(1):

1- الاعتماد على نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة في بناء التصور الإسلامي للقضية أو الموضوع محل الدراسة، وذلك بتتبع الآيات والأحاديث المتصلة بالموضوع، ومراعاة فهمها فهمًا صحيحًا دون نزوع إلى التأويلات الشاذة.

2- الاسترشاد بآراء السلف في فهم قضايا الإسلام، والاستنارة برأي مَن جاء بعدهم من علماء الإسلام في مختلف العصور.

3- استعراض جملة المذاهب الفقهية فيما فيه خلاف بين المسلمين، دون التقيُّد بوجهة نظر مذهب معين في تكوين رؤية أو بناء تصور لقضية من القضايا.

4- الربط بين الأحكام الجزئية، وجمع شتاتها، واستخراج الأفكار العامة والقواعد الكلية التي بُنيت عليها، دون الالتزام بالتصنيفات والتقسيمات التي اعتمدها القدامى في عرضهم لها.

5- بذل الجهد في أن يكون تعليل الآراء وفلسفة الأحكام من وحي النصوص الأصلية نفسها، من إشاراتها وقرائنها، والبعد عن التعسُّف في التأويل والتعليل، وعن إقحام تعليلات خارجية، وعن الآراء الشاذة والتأويلات البعيدة، سواء أكانت قديمة أم حديثة، وأن يكون تعليله وتأويله وفق الفلسفة العامة للإسلام.

6- صياغة الأفكار صياغة تناسب المخاطبين في هذا العصر من حيث طريقتهم في التفكير وأسلوبهم في التعبير، مع الحفاظ على المفاهيم الإسلامية دون انتقاص أو تحريف، وذلك بضبط المصطلحات والعناية بتحريرها.

(1) راجع: نظام الإسلام «العقيدة والعبادة» لمحمد المبارك، ص31، والثقافة الإسلامية للطريقي وآخرون، ص39 وما بعدها.

7- التركيز في عرض موضوعات الثقافة الإسلامية على عناصرها الكبرى، وربط كل منها بغيره، والمقصود بالعناصر الكبرى: المفاهيم والحقائق، والمصادر، والأسس والمقومات، والخصائص، والأهداف، والوسائل، والتطبيقات الواقعية، والآثار،..تأصيلًا لها في الإسلام، ونقدًا لها في تطبيقاتها البشرية. ((فعند دراسة المذاهب الفكرية ونظرياتها يركز المتخصص في الثقافة على أصولها ووسائلها ومناهجها، وموقف الإسلام منها،..أما مرتكزها العقدي – كالقول بأن المادة هي الموجود الأزلي الأوحد لدى الماركسية – فمن شأن المتخصص في العقيدة))(1)، وهكذا.

8- نقد التراث الإنساني في القيم والنظم والفكر، والمقارنة بينه وبين التراث الإسلامي الأصيل في هذه الجوانب تأصيلًا للإسلام وإظهارًا لتميزه، وتفنيدًا للفكر المعارض أو تفاعلًا بينهما في الحق والنفع.

**الجديد الذي يقدمه علم الثقافة الإسلامية:**

يردد البعض أن مادة الثقافة الإسلامية هي تكرار للعلوم الشرعية والمواد الدينية، وقد ترسخت هذه النظرة عند البعض بكل أسف، لدرجة السماح لغير المتخصصين في الثقافة الإسلامية بتدريسها لطلاب الجامعات في بعض البلدان العربية والإسلامية، على اعتبار أن الثقافة الإسلامية – في نظرهم – لا تعدو كونها معلومات عامة عن الإسلام، بل وراح بعض هؤلاء يؤلفون في «علم الثقافة الإسلامية» ، دون إدراك لطبيعة العلم ومنهجية التخصص، فترى الواحد منهم لا يفرق بين الخصائص العامة للإسلام وخصائص «علم الثقافة الإسلامية»، ولا يعرض موضوعات الثقافة الإسلامية وفق الأسس المنهجية سالفة الذكر، وهو ما عبر عنه د. عدنان زرزور بقوله: ((إن مساق الثقافة الإسلامية ليس قطوفًا

---

(1) المدخل للزنيدي، ص 104، 105.

مجموعة..تؤلفها مجموعات أو يتعاقب على تدريسها أساتذة من مختلف الحقول أو التخصصات؛ لأنها بهذا المعنى لا تمثل أكثر من معارف إسلامية متنوعة، فإن توسَّع بها الكاتب أو الكتاب غاية ما يستطيعون انقلبت إلى دائرة معارف أو مَعْلَمَة أو معجم مصطلحات، وليس هذا هو طبيعتها التي أملتها ظروف الحياة الفكرية والثقافية الراهنة، أو التي يعيشها الطلاب والمثقفون في عالم الإسلام اليوم،...

فالزكاة – على سبيل المثال – ركن من أركان الإسلام، وعبادة من أبرز عباداته التي يَتقرَّب بها العبد إلى الله(ﷻ)، وهي قنطرة إلى الاقتصاد الإسلامي، وباب من أهم أبوابه، وصدى العقيدة فيها شديد الوضوح، كما أن آثارها ووجوهها التربوية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية لا يعدمها الباحث عن النظر والتأمل، أضف إلى ما سبق: محاولة فهم العناصر الثقافية الإسلامية في ضوء الثقافات الأخرى، أو إلى أنظمة الحياة الأخرى، وبيان مزايا هذه الثقافة بالقياس إلى الثقافات الأخرى، أو إلى أنظمة الحياة الأخرى، سواء أكانت وضعية، أم تنزع إلى أصل ديني كتابي..))(1).

ومما سبق يتبين أن «علم الثقافة الإسلامية» يتميز بطبيعة مختلفة عن طبيعة العلوم الإسلامية الأخرى، فهو ليس تكرارًا لها ولا بديلًا عنها. ((ويتجلى موقعه بين العلوم الشرعية من خلال ما يلي:

- أنه علم متميز بين هذه العلوم، ليس تكرارًا لها ولا جمعًا لمحتواها.
- وأنه لا يغني وجودها الجزئي المتخصص عنه، كما أنه رغم شموليته لا يغني عنها في تخصصاتها الدقيقة.
- أن مقامه بين العلوم الشرعية عظيم، فهو علم الكليات التي هي الأصل للجزئيات.

---

(1) دراسات في الفكر الإسلامي: د. عدنان زرزور، ص25، 26 باختصار وتصرف يسير.

- لـه صلة بكل علمٍ منها – وهذا جارٍ في كل علم من علوم الشريعة، لا يمكن الفصل بينها تمامًا – ، فعلما التفسير والحديث مستنده في أخذ موضوعاته من المصدرين الشريفين كالعلوم الأخرى..))[1].

وبناءً على ما سبق، فإن فائدة «علم الثقافة الإسلامية» عظيمة، فهو يعرض رؤية الإسلام الشاملة لمختلف الموضوعات والقضايا المطروحة على الساحة الفكرية، والتي يتشوّف الكثيرون لمعرفة النظرة الإسلامية لها، بل إن المتخصص في الثقافة الإسلامية يعمل على بناء التصور الإسلامي لكافة قضايا الإنسان، والكون، والحياة، وما من شك في أنه يستفيد مما وصل إليه المفسرون، وما دوَّنه المحدثون، وما استنبطه الفقهاء من أحكام، وما قرره الأصوليون من قواعد،... إلخ. فهو يطالع التراث الإسلامي ويستخلص منه رؤية الإسلام وفلسفته الشاملة، بعد أن يقرأ ويستوعب، ويهضم ما قرأه جيدًا، ويلاحظ ارتباط الجزئيات، ويستخرج القواعد الكلية التي تساعد في بناء التصور الإسلامي.

إنه يبدأ من حيث انتهى المفسرون والمحدثون والفقهاء والأصوليون وعلماء العقيدة،..كل في تخصصه، فلا هو يقحم نفسه في تفاصيل تلك التخصصات، ولا هو يبحث بمعزل عنها.

يقرأ البعض كتابًا في «النظام الاقتصادي الإسلامي» فيتصور أنه كتاب في فقه المعاملات المالية، والحقيقة غير ذلك، حيث إن لكل علم منهما موضوعه المستقل عن الآخر على النحو التالي:

1- النظام الاقتصادي الإسلامي أعمّ وأشمل من فقه المعاملات المالية، حيث إنه يقوم عليه وعلى غيره من أبواب الفقه، كالزكاة، والنفقات، والفرائض، والنظام المالي للدولة، إضافة إلى الجانب العقدي (مكانة المال والنظرة إليه)، أما فقه

(1) المدخل للزنيدي، ص 101، 102.

المعـاملات فهـو خـاص ببحـث المعـاملات الماليـة بـين الأفـراد والمجتمعـات والدول.

2- النظـام الاقتصـادي الإسـلامي يـدرس النظريـات العامـة المرتبطـة بالمـال، والعلاقـات الماليـة (كالملكيـة بقسـميها، والحريـة الاقتصـادية، والتكافـل المـالي والاجتمـاعي، ومـنهج الإسـلام فـي الإنتـاج والاسـتهلاك والتوزيـع،..)، أمـا فقـه المعـاملات فيـدرس الأحكـام الشـرعية العمليـة فـي التعامـل المـالي بـين الأفـراد والمجتمعات على وجه التفصيل(1).

الباحث فـي الاقتصـاد الإسـلامي يعرض رؤيـة الإسـلام العامـة ونظرتـه الشـاملة للجانـب المـالي والتعاملات الماليـة، بطريقة تأصيلية، فهو يعتمد فـي بنـاء التصـور الإسـلامي علـى نصـوص القـرآن والسـنة بفهـم السـلف، ويسـتأنس بمـا كتبـه علمـاء المسلمين، ويطالع التراث الإنساني في قضايا المال، فما وجده من حق انتفع بـه، ومـا وجده من باطل بيَّنه وردَّه، وهـو فـي ذلك يقارن بين نظـام الإسـلام وغيره من النظم الاقتصادية الوضعية، مبينًا من خلال تلك المقارنة تميز النظام الاقتصـادي الإسـلامي ونجاحـه فـي عـلاج المشـكلات الاقتصـادية، ومثبتًـا فشـل الأنظمـة الاقتصادية الوضعية (كالرأسمالية والاشتراكية) في علاج تلك المشكلات.

قد يكتب المتخصص في القرآن وعلومه حول قضايا المال في القرآن الكريم، وقد يتناولها المتخصص في السنة النبويـة، وكذا الفقهاء، والأصـوليون، وغيرهم، لكن يبقى المتخصص في علم الثقافة الإسلامية هو وحده القادر على تقديم الرؤيـة الكلية القائمـة على التأصيل والمقارنـة والنقد، أقصد رؤيـة الإسـلام وفلسفته للنظام

(1) النظـام الاقتصـادي فـي الإسـلام: د. عمـر بـن فيحـان المرزوقـي وآخـرون، ص15، 16، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الخامسة 1431هـ/2010م.

الاقتصادي، ذلك النظام الذي يأتي ضمن مسار النظم، وهو أحد مسارات علم الثقافة الإسلامية الثلاثة: (القيم، والنظم، والفكر).

# الخاتمة

**وتشتمل خاتمة الدراسة على ما يلي:**

**أولا:** أبرز النتائج:

1- كلمة «الثقافة» عربية قديمة، ضاربةٌ بجذورها في تراث العرب ولغتهم، لكنها لم تستخدم كمصطلح في دلالته الحالية إلا في العصر الحديث.

2- تتقارب «الثقافة» في دلالاتها اللغوية وفي معناها العام بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وإن اختلفت أساليب التعبير وتفاوتت صيغ التعاريف وألفاظها، بينما تفترق وتتباعد بين الفكر الإسلامي ومثيله الغربي بمعناها النوعي، من حيث الدلالات المفاهيمية والمعاني والمضامين التي يحملها المصطلح وهو ما يُعبَّر عنه بـ «الثقافة الإسلامية» و«الثقافة الغربية».

3- اتسع مفهوم «الثقافة» قديمًا وحديثًا ليشمل الأمور المادية والمعنوية، وإن كانت دلالة الكلمة على المعنويات (الأمور الفكرية والمعرفية) أكثر من دلالتها على الحسيات (الأمور المادية).

4- ضعف تأثير «الدين» في «الثقافة» في الفكر الغربي، فتارةً يتم تجاهله عند تعريف الثقافة، وتارةً تُجْعَل الثقافة بديلًا عنه، وفي أحسن الأحوال يُذكَر على أنه مكوّن من مكونات الثقافة، جنبًا إلى جنب مع الأعراف والعادات وسائر مكونات الثقافة، ولا يتم التعامل معه على أنه الأساس والمنطلق والموجِّه للثقافة كما في المنظور الإسلامي.

5- أهمية الثقافة في تفسير سلوك الإنسان، ففي ضوء الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تلقاها الفرد وتشكلت منهما ثقافته يمكن تفسير سلوكه وفهم تصرفاته، وكلما وُجدت مشتركات اجتماعية أو مهنية ونحوها، انعكس ذلك على

تقاربٍ ما في الثقافة، وهو ما قصده العلماء والمفكرون بقولهم: ((الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة)).

6- ليست الثقافة مجرد معلومات ومعارف، ولكنها حقائق يؤمن الإنسان بصحتها، ويعمل بها، ويشعر بالانتماء إليها، ويدافع عنها، حتى تصبح بالنسبة له أسلوب حياة.

7- خطأ القول بوحدة الثقافة العالمية، فهذا ينطبق على «العلم» الذي هو مِلْك للبشرية جميعًا، ولا ينطبق على «الثقافة»؛ لأنها ذاتية وذات خصوصية، فكل أمةٍ لها ثقافتها المعبِّرة عنها.

8- لا أميل إلى اتجاه الترادف بين «الثقافة» و«الحضارة» واعتبارهما شيئًا واحدًا، وذلك للتمييز بين حضارة الغرب وثقافته، والخروج من إشكالية الخلط بين «الثقافة» و«الحضارة» عند المنبهرين بالغرب وبإنجازاته المادية، وهذه التفرقة لا تتنافي مع كون «الثقافة» و«الحضارة» بينهما تلازم وتكامل يجعل كلًّا منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

9- تعني «الثقافة الإسلامية» رؤية الإسلام العامّة وفلسفته المنبثقة عن عقيدته وشريعته ومنهاجه، ودور المتخصص في الثقافة الإسلامية هو بناء التصور الإسلامي لكافة القضايا المطروحة.

10- «علم الثقافة الإسلامية» وإن تأخر ظهوره، فهذا لا يعني أنه لم يكن له واقع في حياة الأمة الإسلامية، فالثقافة الإسلامية كمضمون قديمة قدم الشريعة الإسلامية ذاتها.

11- يتميز «علم الثقافة الإسلامية» بمنهجيته التي تقوم على: النظرة الشمولية، والتأصيل، والنقد، والمقارنة، كما يتميز بمساراته (القيم، والنظم، والفكر)

عن سائر العلوم الإسلامية الأخرى، ومع ذلك فهو لا يستغني عن العلوم الشرعية، كما أنه ليس تكرارًا لها ولا بديلًا عنها.

ثانيًا: أهم التوصيات:

**ومن خلال هذه النتائج يمكن التوصية بما يلي:**

1- عمل ندوة فكرية يشارك فيها نخبة من علماء الأمة، تُعِدّ لمؤتمر إسلامي، يُستكتب فيه العلماء والمتخصصون حول موضوع «علم الثقافة الإسلامية»، بغرض بناء المفاهيم، ووضع الأُطُر والحدود لهذا العلم، فهو من التخصصات الحديثة، ولا يزال يحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة في كثيرٍ من جزئياته وموضوعاته، منها – على سبيل المثال – : قضية العلاقة بين الثقافة والدين، وقضية علاقة علم الثقافة الإسلامية بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ، ودور علم الثقافة الإسلامية في خدمة العلوم الشرعية، وصراع الثقافات،...وغيرها من القضايا.

2- توجيه الباحثين والمتخصصين في الثقافة الإسلامية للموضوعات المتعلقة بتحرير مضامين المصطلحات وضبطها، لاسيما المصطلحات الكبرى والمعبرة عن هوية الأمة، كالثقافة، والحضارة،.. وغيرها من المصطلحات الأكثر شيوعًا والأكثر إثارة للجدل والخلاف في حياتنا الفكرية المعاصرة، الأمر الذي يستلزم استنهاض الهمم لدراسة تلك المصطلحات وضبط مضامينها، وبيان المشتركات بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات، وما تنفرد به ثقافتنا عن سائر الثقافات.

3- بعد دراسة الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية، أرى أن حاجة الدعاة ماسة لعرض الإسلام وفق تلك المنهجية، بطريقةٍ شمولية تتجاوز التفاصيل والفرعيات إلى الكليات التي تُظهر جمال الإسلام وترابط أجزائه، وتميزه عن غيره من التيارات والمذاهب المعاصرة.

4- تدريس مادة «الثقافة الإسلامية» لطلاب المرحلة الجامعية كافة، وليس طلاب جامعة الأزهر الشريف فقط، وهذا حاصل في بعض البلدان العربية والإسلامية، نظرًا لما تقوم به مادة «الثقافة الإسلامية» من تعريف للطلاب بدينهم، وتحصينهم ضد الأفكار المنحرفة والمتطرفة، وليس من المنطقي أن يُترك الطلاب في هذه المرحلة خلوًا من الثقافة الإسلامية، الأمر الذي يجعلهم عرضة للتأثر بأي فكرٍ منحرف.

5- قَصْر تدريس مقرر «الثقافة الإسلامية» وما يتصل به على المتخصصين، فهم الأقدر على فهم طبيعة التخصص ومعرفة كيفية تناوله، بخلاف غير المتخصصين في الثقافة الإسلامية، فالكثير منهم سوف يتناولها وفقًا لطبيعة ومنهجية تخصصه العلمي.

وإني لأرجو الله (ﷻ) أن تكون هذه الدراسة قد ساهمت ولو بالقليل في خدمة تخصص الثقافة الإسلامية، وأن تكون خطوة تتلوها خطوات للنهوض بهذا التخصص وتطويره حتى ينضج ويستوي على سوقه، فهو من التخصصات الحديثة التي تحتاج إلى جهود علمية متواصلة لترسيخ قواعدها وإقامة بنيانها، لتأخذ مكانها اللائق بها بين العلوم الإسلامية الأخرى.

# المصادر والمراجع

**أولا: القرآن الكريم وعلومه:**

1- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية):** ابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 1413هـ/1993م. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

**ثانيا: السنة النبوية وعلومها:**

2- **الجامع الصحيح المختصر:** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار ابن كثير، بيروت، الثالثة 1407هـ / 1987م. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

3- **صحيح مسلم:** الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

4- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت 1414هـ/1994م. تحقيق: عبدالله محمد الدرويش.

5- **مسند الإمام أحمد:** أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية 1420هـ/1999م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.

6- **مسند الحميدي:** الإمام أبي بكر عبدالله بن الزبير القرشي الحميدي، دار السقا، سوريا، الأولى1996م. تحقيق: حسين سليم أسد.

**ثالثا: اللغة والمعاجم:**

7- **أساس البلاغة:** الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 1419هـ/1998م. تحقيق: محمد باسل.

8- **أصول النقد الأدبي:** د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، العاشرة 1994م.

9- **التعريفات:** علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى 1405هـ. تحقيق: إبراهيم الإبياري.

10- **العصر الجاهلي:** د. شوقي ضيف، «سلسلة تاريخ الأدب العربي – ج1»، دار المعارف، القاهرة، الحادية عشرة، بدون تاريخ.

11- **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الرابعة 1425هـ/2004م.

12- **المورد «قاموس إنكليزي- عربي»:** منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الثانية 1970م.

13- **شرح المعلقات السبع:** الحسين بن أحمد الزوزني، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة 1993م. تحقيق: لجنة التحقيق في الدار العالمية.

14- **طبقات الشعراء:** محمد بن سلام الجمحي (231هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت1422 هـ/ 2001م.

15- **لسان العرب:** ابن منظور ، دار صادر، بيروت، الأولى، بدون تاريخ.

**رابعا: الثقافة والحضارة:**

16- **أضـواء علـى الثقافـة الإسـلامية:** د. أحمـد فـؤاد محمـود، إشـبيليا للنشـر والتوزيع، السعودية، الأولى 1421هـ/2000م.

17- **أضواء على الثقافة الإسلامية:** د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، التاسعة 1421هـ/2001م.

18- **الإسلام والتغيير الثقافي:** أحمد عبد الرحمن إبراهيم، بحث منشور بمجلة أضواء الشريعة، العدد (13)، سنة 1402هـ.

19- **الإسلام والحضارة الغربية**: د. محمد محمد حسين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1975م.

20- **الثقافة الإسلامية «تعريفها – مصادرها – مجالاتها – تحدياتها»**: د. مصطفى مسلم وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار البشير، الشارقة، الأولى 1425هـ/2004م.

21- **الثقافة الإسلامية «مفهومها. مصادرها. خصائصها. مجالاتها»**: د. عزمي طه السيد وآخرون، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان 1430هـ/2010م.

22- **الثقافة الإسلامية وتحديات العصر**: د. شوكت محمد عليان، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، الرياض، الأولى 1401هـ/1981م.

23- **الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر**: سارة جلوي، الأولى 1419هـ.

24- **الثقافة الآمنة**: د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، السعودية، بدون تاريخ.

25- **الثقافة "التفسير الأنثروبولوجي"**: آدم كوبر، ترجمة: تراجي فتحي، الكويت، عالم المعرفة (349) مارس 2008م.

26- **الثقافة والحضارة «مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي»**: أ. فؤاد السعيد، ود. فوزي خليل، دار الفكر، دمشق، الأولى 1429هـ /2008م.

27- **الثقافة والشخصية**: د. فتحي أبو العينين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2015م.

28- **الحضـارة. الثقافـة. المدنيـة «دراسـة لسـيرة المصـطلح ودلالـة المفهـوم»:** نصـر محمـد عـارف، المعهـد العـالمي للفكـر الإسـلامي، الثانيـة 1415هـ/1994م.

29- **الحضـارة:** د. حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978م، عدد (1).

30- **المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية:** د. عبد الرحمن الزنيدي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الثانية 1434هـ/2013م.

31- **المـدخل إلـى الثقافـة الإسـلامية:** د. إبراهيم الريس، وآخرون، دار الوطن للنشر، السعودية، السادسة عشرة 1433هـ/2012م.

32- **المدخل إلى الثقافة الإسلامية:** د. أحمد الحليبي، مكتبة الرشد، السعودية، الأولى 1437هـ/2016م.

33- **المـدخل إلـى الثقافـة الإسـلامية:** د. محمد رشاد سالم، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، التاسعة 1407هـ/ 1987م.

34- **إنسانية الثقافة الإسلامية:** د. عدنان زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى 1400هـ/1980م.

35- **ثقافـة المسـلم فـي وجـه التيـارات المعاصـرة:** د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، بدون.

36- **دراسـات فـي الثقافـة الإسـلامية:** د. رجب سعيد شهوان وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت، الثانية 1401هـ/ 1981م.

37- **دراسـات فـي الثقافـة الإسـلامية:** د. عمر الأشقر وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى 1400هـ.

38- **دراسات في الثقافة الإسلامية**: د. صالح هندي، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الثالثة 1402هـ/ 1982م.

39- **دراسات في الفكر الإسلامي**: د. عدنان زرزور، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى 1407هـ/ 1986م.

40- **دراسات في قضايا الثقافة والاقتصاد الإسلامي**: د. خليفة بابكر الحسن، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى 1421هـ/2000م.

41- **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الثانية 1427هـ/2006م.

42- **سوسيولوجيا الثقافة**: د. طاهر لبيب، دار محمد علي الجامي للنشر، المغرب، الرابعة، 1987م.

43- **علم الاجتماع الثقافي**: د. قباري محمد إسماعيل، منشأة المعارف، الإسكندرية 1982م.

44- **في معركة الحضارة**: قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة 1981م.

45- **لمحات في الثقافة الإسلامية**: د. عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، التاسعة 1404هـ/1984م.

46- **مبادئ الثقافة الإسلامية**: د. محمد فاروق النبهان، دار البحوث العلمية، الكويت، الأولى 1394هـ/ 1974م.

47- **محاضرات في الثقافة الإسلامية**: د. أحمد محمد جمال، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، السابعة 1418هـ/ 1998م.

48- **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**: د. محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، الأولى 1999م.

49- **مدخل إلى الثقافة الإسلامية**: د. أحمد الشرقاوي، ود. إبراهيم عيسى، دار الرشد، الرياض، الثانية1427هـ/2006م.

50- **مدخل إلى الثقافة الإسلامية**: د. محمد عبد الله حياني، الثانية 1430هـ/ 2009م.

51- **مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية**: د. عبد الرحمن الزنيدي، بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد الثاني 1410هـ/1989م.

52- **مشكلة الثقافة**: مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت ودمشق، السادسة عشرة 1435هـ/2014م.

53- **معالم الثقافة الإسلامية**: د. عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى 1412هـ/ 2001م.

54- **مقدمات في الثقافة الإسلامية**: د. مفرح سليمان القوس، الرابعة 1430هـ/2009م.

55- **مقدمة في الثقافة الإسلامية**: د. عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام، مكتبة الرشد، السعودية، طبعة 1425هـ/ 2004م.

56- **من أجل انطلاقة حضارية شاملة**: د. عبد الكريم بكار «سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة»، دار القلم، دمشق، الثالثة1426هـ.

57- **منهج الثقافة الإسلامية**: العلامة محب الدين الخطيب، هدية مجلة التوحيد عن شهر ذي الحجة 1419هـ.

58- **موسوعة الحضارة الإسلامية**: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، السادسة 1989م.

59- **نحو ثقافة إسلامية أصيلة:** د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، الرابعة 1414هـ/ 1994م.

60- **نظرية الثقافة:** مايكل تومبسون وآخرون «تقديم المراجع أ. د. الفاروق زكي يونس»، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم(223) سنة 1997م. ترجمة: د. علي سيد الصاوي.

**خامسا: بقية المراجع:**

61- **الإسلام بين الشرق والغرب:** علي عزت بيجوفيتش، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، الأولى 1414هـ/ 1994م . ترجمة: محمد يوسف عدس/ قسم الترجمة- مؤسسة بافاريا.

62- **الأعلام:** خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملاين، بيروت، الخامسة عشر 2002م

63- **أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر:** د. محمد أبو زيد، دار غريب، القاهرة، بدون تاريخ.

64- **المشترك الإنساني:** د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الأولى 1432هـ/ 2011م.

65- **المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم:** د. علي جمعة محمد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الأولى 1417هـ/1996م.

66- **المعرفة:** د. محمد فتحي الشنقيطي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، طبعة 1981م.

67- **الموسوعة العربية الميسرة:** محمد شفيق غربال، المكتبة العصرية، بيروت، الثالثة 2009م.

68- **الموسوعة الفلسفية العربية:** د. معن زيادة (محرر)، معهد الإنماء العربي، الأولى 1986م.

69- **الموسوعة الفلسفية:** د. عبد المنعم الحفني، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، بدون.

70- **الموقع الرسمي لمنظمة ألكسو** www. alecso. org.

71- **الموقع الرسمي لمنظمة اليونسكو** http: //www. Unesco. org.

72- **النظام الاقتصادي في الإسلام:** د. عمر بن فيحان المرزوقي وآخرون، ص15، 16، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الخامسة 1431هـ/2010م.

73- **تايلور:** د. أحمد أبو زيد، «سلسلة نوابغ الفكر الغربي»، دار المعارف، مصر، سنة 1958م.

74- **ذكريات على الطنطاوي:** الجزء السابع، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، الخامسة 2006م.

75- **في أصول التربية:** د. محمد الهادي عفيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون.

76- **كفاية الطالب الرباني:** أبو الحسن المالكي، دار الفكر، بيروت 1412هـ. تحقيق: يوسف البقاعي.

77- **مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية:** د. إسماعيل علي محمد، شركة منارات، القاهرة، الأولى 2010م.

78- **مروج الذهب ومعادن الجوهر:** أبو الحسن بن علي المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى 1425هـ/2005م. عناية: كمال حسن مرعي.

79- **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**: د. معن زيادة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1987م، عدد (115).

80- **مقدمة ابن خلدون**: العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ)، دار يعرب، دمشق، الأولى 1425هـ/2004م. تحقيق وتعليق: عبد الله محمد الدرويش.

81- **نحو فلسفة عربية للتربية**: د. عبد الغني النوري، ود. عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى 1976م.

82- **نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»**: أ. محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، الثانية 1401هـ/1981م.

## فهرس الموضوعات



| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ملخص البحث عربي | 739 |
| ملخص البحث إنجليزي | 740 |
| مقدمة | 741 |
| التمهيد: إشكالية التعريف | 744 |
| **الفصل الأول: تعريف الثقافة بوجهٍ عام** | 755 |
| **المبحث الأول:** الثقافة في لغة العرب | 756 |
| **المبحث الثاني:** الثقافة في اللغات الأوروبية | 764 |
| **المبحث الثالث:** الثقافة في الاصطلاح | 770 |
| ● **المطلب الأول:** الثقافة في الفكر الغربي | 771 |
| ● **المطلب الثاني:** الثقافة في الفكر الإسلامي | 778 |
| **الفصل الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالثقافة** | 789 |
| **المبحث الأول:** العلاقة بين الثقافة والعلم | 789 |
| **المبحث الثاني:** العلاقة بين الثقافة والحضارة | 796 |
| **المبحث الثالث:** العلاقة بين الثقافة والمدنية | 807 |
| * خلاصة العلاقة بين الثقافة وبين العلم والحضارة والمدنية | 808 |
| **الفصل الثالث: علم الثقافة الإسلامية** | 810 |

| | |
|---|---|
| **المبحث الأول:** تعريف الثقافة الإسلامية | 813 |
| * علم الثقافة الإسلامية | 816 |
| **المبحث الثاني:** نشأة علم الثقافة الإسلامية | 819 |
| * **مراحل نشأة علم الثقافة الإسلامية** | 820 |
| ● **المرحلة الأولى:** ما قبل تدوين العلوم الإسلامية | 820 |
| ● **المرحلة الثانية:** مرحلة التدوين والترجمة | 822 |
| ● **المرحلة الثالثة:** مرحلة التجديد | 824 |
| ● **المرحلة الرابعة:** ظهور العلم وتسميته | 826 |
| * تدريس العلم وتسميته | 829 |
| **الفصل الرابع : المنهج والمضمون** | 834 |
| **المبحث الأول:** الأسس المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية | 834 |
| 1- النظرة الشموليّة | 835 |
| 2- التأصيل | 838 |
| 3- النقد العلمي | 840 |
| 4- المقارنة | 842 |
| أهمية الأسس المنهجية للتخصص في علم الثقافة الإسلامية | 844 |
| **المبحث الثاني:** موضوعات علم الثقافة الإسلامية | 848 |
| المسارات الأساسية لعلم الثقافة الإسلامية | 848 |
| ● **أولا:** مسار القيم | 848 |
| ● **ثانيا:** مسار النظم | 849 |
| ● **ثالثًا:** مسار الفكر | 849 |

| | |
|---|---|
| * ضوابط البحث والتأليف في موضوعات الثقافة الإسلامية | 850 |
| * الجديد الذي يقدمه علم الثقافة الإسلامية | 852 |
| **الخاتمة** | 857 |
| أبرز النتائج | 857 |
| أهم التوصيات | 859 |
| **المصادر والمراجع** | 861 |
| **فهرس الموضوعات** | 870 |


تم بحمد الله